

قِصَّةُ العَدُوِّ اللَّدُودِ

عَلَى مَرِّ الأَزْمَانِ والعُهُودِ والصَّبْرُ عَلَيْهِ وَكَسْبُ الوُعُودِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ الوَدُودِ

(رُؤْيَةٌ شَرْعِيَّةٌ .. وَرِحْلَةٌ تارِيخِيَّةٌ .. وَمَنْقَبَةٌ وَطَنِيَّةٌ)

جَمَعَهُ

أَبُو فريحان جمالُ بنُ فريحان الحارثيِّ

قصة العدو اللدود
على مر الأزمنة والعهود
والصبر عليه وكسب الوعود
من الله العزيز الودود

(رؤية شرعية .. ورحلة تاريخية .. ومنقبة وطنية)

جمعه

أبو فرحان جمال بن فرحان الحارثي

عفا الله عنه

رجب ١٤٤١هـ

الطبعة الأولى ١٤٤١ هـ/ ٢٠٢٠ م

دار الضياء

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ؛ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ ؛ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ ؛ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾. [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

[النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾. [الأحزاب : ٧٠ – ٧١] .

أَمَّا بَعْدُ :

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ ؛ كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ ؛ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُورِ ؛ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ ؛ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ؛ ضَلاَلَةٌ ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

هذهِ رسالةٌ جمعتُها ؛ وكانت المناسبةُ ما أصابَ العالَمَ مِن بلاءٍ بوباءِ فيروسِ كرونا "كوفيد ١٩" ، فخاضَ الناسُ وأكثَروا في الكلامِ فيهِ ، وكأنَّهُ لم يحدثْ قبلَهُ مِثْلَهُ أو أشدَّ .

وبَينَ مُرجِفٍ ومُهَوِّلٍ ، وبَينَ مُستسهِلٍ ومُتساهِلٍ .

وفريقٌ معتدلٌ ، أخذَهُ على مَحْمَلِ الجِدِّ ، وعَمِلَ بالأسبابِ ، واحتسبَ وصبرَ ، وتوكّلَ على مولاهُ سُبحانَهُ وتَعالى ورَجاهُ، ثمَّ قالَ

بعدَ ذلكَ :{لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} ، واطمأنتْ نفسُهُ بعدَ ذلكَ بقولِهِ سُبحانَهُ وتَعَالَى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾. [البقرة : ١٥٥].

أمّا أنْ تتحجَّجَ يا عبدَ اللهِ بالقضاءِ والقَدَرِ ؛ وأنتَ مُقيمٌ على الخطأِ ، مِن : إهمالٍ ، وعَدَمِ مُبالاةٍ ، وتركِ الأخذِ بالأسبابِ ، وتَواكُلٍ ، ثم تتعلَّقُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ .[التوبة : ٥١].

فتلكَ كلمةُ حقٍّ أُريدَ بِها باطلٌ .

وإلَّا فلِماذا تدعو اللهَ تَعالى إذا أصابتكَ مصيبةٌ أو نكبةٌ ؟ لماذا لم تَبْقَ صائِمًا عنِ الدعاءِ لِرفعِ البلاءِ ؟!

الجوابُ أنا أكفِيكَهُ : الدعاءُ هُو مِن الأسبابِ ، وهُوَ مِن قضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ ، حيثُ قَدّرَ لكَ البلاءَ ، وقَدّرَ سُبحانَهُ لكَ أنْ

تدعُوهُ ؛ لِرفعِ البَلاءِ ، فهُوَ الذي خَلقَ السببَ والمسَبِّب .

يقولُ ابنُ تيميةَ رحمهُ اللهُ – في هذا المعنى كلامًا جميلًا في بالغِ الأهميةِ لهُ – :

"فَلَا يَكُونُ – أيِ: الْعَبْدُ – دُعَاؤُهُ وَشَفَاعَتُهُ ؛ إلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ، وَمَشِيئَتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يُجِيبُ الدُّعَاءَ ، وَيَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ .

فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّبَبَ وَالْمُسَبِّبَ ، وَالدُّعَاءُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي قَدَّرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ : فَالِالْتِفَاتُ إلَى الْأَسْبَابِ ؛ شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ . وَمَحْوُ الْأَسْبَابِ أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ .

وَالْإِعْرَاضُ عَنْ الْأَسْبَابِ بِالْكُلِّيَّةِ ؛ قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ ، بَلْ الْعَبْدُ يَجِبُ : أَنْ يَكُونَ تَوَكُّلُهُ ، وَدُعَاؤُهُ ، وَسُؤَالُهُ ، وَرَغْبَتُهُ إلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَاَللَّهُ يُقَدِّرُ لَهُ مِنْ الْأَسْبَابِ مِنْ دُعَاءِ الْخَلْقِ ، وَغَيْرِهِمْ مَا شَاءَ" . "مجموع الفتاوى" (١/١٣١) .

وتضمنتْ هذهِ الرسالةُ أو هذا البحثُ :

تعريفاتٍ بالمرضِ ، والوباءِ ، والطاعونِ ، ثم هلْ يدخلُ الطاعونُ والوباءُ "مدينةَ الرسولِ ﷺ" و "مكةَ شرَّفَها اللهُ" أم لا ؟

وأنهُ عذابٌ للكافرينَ ورحمةٌ وشهادةٌ وتكفيرٌ لذنوبِ المؤمنينَ ، ثم الحَجْرُ الصحيُّ في الإسلامِ ،وهل الوباءُ مُعْدٍ بذاتِهِ ؟

ثم انتقلَ البحثُ إلى ذِكرِ بعضِ حوادثِ الوباءِ والطاعونِ عبرَ التاريخ مختصرًا ، ثم تناولَ البحثُ بعضَ البِدَعِ والمحدثاتِ التي فَعلَها البعضُ عِند نزولِ الوباءِ ، ثم تضمّنَ ما ينبغي أنْ يكونَ عليهِ المسلمُ عندَ حُلولِ الشدائدِ والبلايا والمصائِبِ مِن أمراضٍ وأوبئةٍ ، ونحوِها .

ثم انفردَ البحثُ بفصلٍ خاصٍ بجهودِ حكومةِ "المملكةِ العربيةِ السعوديةِ" الفريدةِ في مكافحةِ هذا الوباءِ – فيروس كرونا "كوفيد ١٩"– للمحافظةِ على شعبِها والمقيمينَ على أرضِها .

ثم خُتِمَ البحثُ بعلاجٍ ناجِعٍ ، ليس موجودًا إلا عندَ المسلمينَ فقط ؛ إنْ عَمِلوا بِهِ .

قالَ جامِعُهُ :

والمقصودُ بهذا المؤلَّفِ في هذا الوقتِ : التصبّرُ ، والحملُ على التأسي بغيرِهِ في المصائب ، وأن مصيبةَ الإنسانيةِ في هذا الوباء قليلةٌ بالنسبةِ إلى ما جَرى قبلَهُ على غيرِهِ ، وليسَ الغرضَ مِنهُ : تهويلُ الحالِ ، وتفخيمُ الأمرِ ، وتخويفُ الناسِ .

ف"الإنسانُ ؛ قد يسمعُ ، ويَرى ما يُصيبُ كثيرًا مِن أهلِ الإيمانِ في الدنيا مِن المصائبِ ، وما ينالُ كثيرًا مِن الكفارِ ، والفجارِ ، والظَلَمَةِ في الدنيا مِن الرياسةِ ، والمالِ ، وغيرِ ذلكَ .

فيعتقدُ أنَّ النعيمَ في الدنيا ؛ لا يكونُ إلا للكفارِ والفجارِ ، وأنَّ المؤمنينَ حظَّهُم مِن النعيمِ في الدنيا قليلٌ .

وكذلكَ قد يعتقدُ : أنَّ العزةَ ، والنُّصرةَ في الدنيا ؛ قد تستقرُّ للكفارِ والمنافقينَ على المؤمنينَ . فإذا سمعَ في القرآن قولَهُ تعالى :

﴿ وَلله ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ . [المنافقون : ٨] .

وقولَهُ : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ . [الصافات : ١٧٣] .

وقولَهُ ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾ . [المجادلة : ٢١] .

وقولَهُ ﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ . [الأعراف : ١٢٨، القصص : ٨٣] .

ونحوَ هذهِ الآياتِ ، وهُوَ ممنْ يُصدَّقُ بالقرآنِ ، حَمَلَ ذلكَ على أنَّ حصولَهُ في الدارِ الآخرةِ فقط ، وقالَ :

أمّا الدنيا فإنا نرى الكفارَ والمنافقينَ يَغلِبونَ فيها ويَظهرونَ ، ويكونُ لهمُ النصرُ والظفرُ .

والقرآنُ لا يَرِدُ بخِلافِ الحِسِّ ، ويعتمدُ على هذا الظنِّ إذا أُديلَ عليهِ عدوٌّ مِن جِنس الكفارِ والمنافقينَ ، أو الفجرةِ الظالمينَ : وهُوَ عندَ نفسِهِ مِن أهلِ الإيمانِ والتقوى .

فيرى أنَّ صاحِبَ الباطلِ قد عَلا على صاحبِ الحقِّ ، فيقولُ : أنا على الحقِّ ، وأنا مغلوبٌ: فصاحبُ الحقِّ في هذهِ الدنيا ؛ مغلوبٌ مقهورٌ ، والدَّوْلةُ فيها للباطلِ .

فإذا ذُكِّرَ بما وعدَهُ اللهُ تعالى مِن حُسنِ العاقبةِ للمتقينَ والمؤمنينَ ، قالَ : هذا في الآخرةِ فقط .

وإذا قِيلَ لهُ : كيفَ يفعلُ اللهُ تعالى هذا بأوليائِهِ وأحبائِهِ ، وأهلِ الحقِّ ؟

فإنْ كانَ ممنْ لا يُعَلِّلُ أفعالَ اللهِ تعالى بالحِكَمِ والمصالحِ ، قالَ :

يفعلُ اللهُ في مُلْكِهِ ما يشاءُ ، ويحكُمُ ما يريدُ :

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ . [الأنبياء : ٢٣]

وإنْ كانَ ممنْ يُعَلِّلُ الأفعالَ ، قالَ :

فَعَلَ بهم هذا ؛ ليُعَرِّضَهم بالصبرِ عليهِ ؛ لِثوابِ الآخرةِ ، وعُلوِّ الدرجاتِ ، وتوفيةِ الأجرِ بغيرِ حسابٍ" . "إغاثة اللهفان" (١٧٦/٢) .

واعلمْ أيها المسلمُ !

أنَّ المصائبَ والنكباتِ والبلاءَ والوباءَ الذي يُصيبُ الإنسانَ ؛

لا يُؤجَرُ عليهِ الإنسانُ بمجرَّدِ أنهُ مصيبةٌ وبلاءٌ ووباءٌ حَلَّ بهِ ، ولكنَّ المرضَ يُكفِّرُ الذنوبَ والخطايا ، ويُؤجَرُ على ذلكَ ؛ إذا صَبَرَ واحتسَبَ .

على سبيلِ المثالِ للتوضيحِ : إنسانٌ سُرِقَ مالُهُ ، فهل سَمِعْنا أحدًا يقولُ : الحمدُ للهِ سُرِقتُ ، ويعتقدُ أنهُ يُؤجَرُ على سرقةِ مالِهِ ؟

أم إنَّ الثوابَ والأجرَ يحصلُ لهُ إنْ صبرَ واحتسبَ ورضِيَ بقضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ ؟

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

"الْمَصَائِبُ كَفَّارَاتٌ إذَا صَبَرَ عَلَيْهَا ؛ أُثِيبَ عَلَى صَبْرِهِ ، فَالثَّوَابُ وَالْجَزَاءُ ؛ إنَّمَا يَكُونُ عَلَى الْعَمَلِ – وَهُوَ الصَّبْرُ – .

وَأَمَّا نَفْسُ الْمُصِيبَةِ ؛ فَهِيَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ ؛ لَا مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ ، وَهِيَ مِنْ جَزَاءِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ عَلَى ذَنْبِهِ وَتَكْفِيرِهِ ذَنْبَهُ بِهَا .

وَفِي "الْمُسْنَدِ" :

"أَنَّهُمْ دَخَلُوا عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ يُؤْجَرُ عَلَى مَرَضِهِ ، فَقَالَ : مَا لِي مِنْ الْأَجْرِ وَلَا مِثْلُ هَذِهِ .

وَلَكِنَّ الْمَصَائِبَ : حِطَّةٌ" .

فَبَيَّنَ لَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ ﷺ : أَنَّ نَفْسَ الْمَرَضِ ؛ لَا يُؤْجَرُ عَلَيْهِ ، بَلْ يُكَفَّرُ بِهِ عَنْ خَطَايَاهُ .

وَكَثِيرًا مَا يُفْهَمُ مِنْ الْأَجْرِ غُفْرَانُ الذُّنُوبِ فَيَكُونُ فِيهِ أَجْرٌ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ" . "مجموع الفتاوى" (٣٠/٣٦٣) .

كَتَبَهُ

أبو فريحان جمالُ بنُ فريحان الحارثي

١ / ٧ / ١٤٤١هـ

تَعْرِيفاتٌ

(١) المَرَضُ

(الْمَرَضُ) : السُّقْمُ ، وَعَيْنٌ "مَرِيضَةٌ" : فِيهَا فُتُورٌ . "مختار الصحاح" .

(الْمَرَضُ) : السُّقْمُ ؛ نَقِيضُ الصِّحَّةِ ، يَكُونُ للإِنسان وَالْبَعِيرِ ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْجِنْسِ .

قَالَ سِيبَوَيْهِ : المَرَضُ مِنَ المصادِرِ الْمَجْمُوعَةِ : كالشَّغْل والعَقْل ، قَالُوا : أَمْرَاضٌ ، وأَشْغالٌ ، وعُقولٌ .

ومَرِضَ فُلَانٌ ، والأُنثى مَرِيضَةٌ . "لسان العرب" .

(الْمَرَضُ) : مرضَ الحيوانُ مرضًا ، مِن بابِ : تعبَ ، والمرضُ : حالةٌ خارجةٌ عنِ الطبعِ ، ضارةٌ بالفعلِ ، ويُعلم مِن هذا : أنَّ الآلامَ ، والأورامَ ؛ أعراضٌ عنِ المرضِ .

وقال ابنُ فارسٍ : المرضُ كلُّ ما خرجَ بهِ الإنسانُ عن حَدِّ الصحةِ ، مِن : عِلّةٍ ، أو نِفاقٍ ، أو تقصيرٍ في أمرٍ .

ومرضَ مَرْضاً ؛ لغةٌ قليلةُ الاستعمالِ .

قالَ الأصمعيُّ : قرأتَ على أبي عمرو بنِ العلاءِ : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ ، فقالَ لي : "مَرْضٌ" يا غلامُ ! أيْ بالسكونِ ، والفاعلُ مِن الأُولى : مريضٌ ، وجَمْعُهُ : مَرضى . ومِن الثانيةِ : مَارِضٌ . قالَ : ليسَ بمهزولٍ ، ولا بمارِضٍ . "المصباح المنير" .

مِن الأسماءِ المُرادفةِ لكلمةِ "مرض" :

"سُقْم" ، "السَّقامُ" بالفتح اسمٌ مِنهُ .

و "السُّقْمُ" و "السَّقَمُ" : المَرَض ؛ لُغَاتٌ ، وَالْجَمْعُ : سِقامٌ.

و "الضُّر" و "الضَرّاء" و "طَعِينٌ" و "الوجع" و "الدّاء" و "الألم" و "الوَصَب" و "الشكوى" و "الضَنى" و "العلِّة" و "الضمان" و "السوء" و "الدِّخَّم" هو : الدَّاءُ الشَّدِيدُ . "اللسان" .

و "العَياءُ" هو : "الدَّاء" الشَّديد ، الَّذِي لَا طب لَهُ ، وَلَا برْء مِنْهُ . "المعجم الوسيط" .

و "شَكْو" : هُوَ المرضُ . فِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ حُرَيْث : "دَخَلَ عَلَى الْحَسَنِ فِي شَكْوٍ لَهُ" .

قَالَ بَعْضُهُمْ: الشَّاكِي والشَّكِيُّ : الَّذِي يمْرَضُ أَقلَّ المرَض وأَهْوَنه . "اللسان" .

و "دَوَى" الرجلُ : إِذا كَانَ بِهِ مرضٌ فِي جَوْفِهِ .

"الدَّوَى" مَقْصُورٌ : الْمَرَضُ ، وَقَدْ (دَوِيَ) : مِنْ بَابِ : صَدِيَ ؛ أَيْ : مَرِضَ . "مشارق الأنوار" ، و"مختار الصحاح" .

أما : "**الدَّوَاءُ**" مَمْدُودٌ وَاحِدُ : "الْأَدْوِيَةِ" ، وَكَسْرُ الدَّالِ ؛ لُغَةٌ فِيهِ .

وَقِيلَ : "الدِّوَاءُ" بِالْكَسْرِ ؛ إِنَّمَا هُوَ مَصْدَرُ : "دَاوَاهُ مُدَاوَاةً" ، وَ "دِوَاءً" . "مختار الصحاح" .

(٢) الوَباءُ

"وَ بَ أَ" : "الْوَبَاءُ" بِالْمَدِّ الْمَرَضُ الْعَامُّ ، وَ "أَرْضٌ وَبِيئَةٌ ، وَوَبِيَّةٌ وَمَوْبُوءَةٌ" : كَثُرَ مَرَضُهَا ، وَقَدْ "وَبِئَتْ ، وَوُبِئَتْ ؛ وَبَاءً" .

"المُغْرَب في ترتيب المُعرَب" ، و "المصباح المنير" .

"**الوَبَأُ**"؛ مُحرَّكةً ، بِالْقصرِ والمَدّ والهمزة ، يُهمز وَلَا يُهمز .

قَالَ ابنُ النَّفِيسِ : الوَبَاءُ : فَسادٌ يَعْرِض لِجَوْهَر الهَوَاءِ لأَسبابٍ سَمَاوِيّة أَو أَرْضِيَّة ، كالمَاءِ الآسن والجِيَفِ الكثيرَة.

و"**الوبَاءُ**" ، بالمَدِّ : سُرْعَةُ المَوْتِ ، وكَثْرَتُه فِي النَّاس . "تاج العروس" .

"**الوبأ**": الطَّاعُون ، وكلُّ مرضٍ فَاشٍ عَام ، والجمعُ : أوباءُ .

"المعجم الوسيط" .

(٣) الطَّاعُونُ

"**الطَّاعُونُ**": المرضُ العامُّ ، والوَباءُ الَّذِي يَفْسدُ لَهُ الهَواءُ ؛ فتفسُدُ بِهِ الأَمْزِجَة والأَبْدَان . "النهاية في غريب الحديث" ، و "تاج العروس" .

"**الطَّاعُونُ**": الْمَوْتُ مِنَ الْوَبَاءِ ، وَالْجَمْعُ: الطَّوَاعِينُ . "مختار الصحاح" ، و "المصباح" .

"**الطاعونُ**": قُرُوحٌ تخرجُ فِي المغابنِ ، وَفِي غَيرهَا ، فَلَا تُلبثُ صَاحبهَا ، وتعم غَالِباً إِذا ظَهرت . "مشارق الأنوار" .

"**الطَّاعُونُ**": داءٌ وَرَمِيٌّ وبائيٌّ ، سببهُ مكروبٌ ، يُصيبُ الفئرانَ ، وتنقلهُ البراغيثُ إلى فئرانٍ أخرى ، وإلى الإنسانِ ، والجمعُ: طوَاعِين. "معجم اللغة العربية المعاصرة" ، و "المعجم الوسيط" .

قال جامِعُهُ :

التعريفُ الأخيرُ للطاعونِ هُوَ أقربُ مِن جهةِ أنهُ مَرَضٌ بعينِهِ وَصِفتِهِ، وموافقٌ للحديثِ ، ولكنْ لا يمنعُ أنْ تكونَ التعاريفُ

الأخرى صحيحةً ؛ مِن جهةِ أنهُ مرضٌ ووباءٌ يفتك بالناسِ موتًا .

الحديثُ المشارُ إليهِ هُوَ :

(**الطَّاعُونُ : غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ ، [تَخْرُجُ بَيْنَ الْآبَاطِ وَالْمَرَاقِّ]**).

وسيأتي الكلامُ عنهُ وتخريجُهُ.

قالَ النوويُّ في هذا المَعنى :

"**الطَّاعُونُ** : قُرُوحٌ ؛ تَخْرُجُ فِي الْجَسَدِ فَتَكُونُ فِي "الْمَرَافِقِ" أَوِ "الْآبَاطِ" أَوِ "الْأَيْدِي" أو "الأصابع" وَسَائِرِ "الْبَدَنِ" ، وَيَكُونُ مَعَهُ وَرَمٌ وَأَلَمٌ شَدِيدٌ .

وتخرجُ تلكَ القروحُ معَ لهيبٍ ، ويَسْوَدُّ ما حواليهِ ، أَوْ يَخْضَرّ ، أَوْ يَحْمَرُّ حُمْرَةً بَنَفْسَجِيَّةً كَدِرَةً .

وَيَحْصُلُ مَعَهُ خَفَقَانُ الْقَلْبِ ، وَالْقَيْءُ .

وَأَمَّا "الْوَبَاءُ" ، فقال الخليلُ ، وغيرُهُ : هُوَ "الطَّاعُونِ" .

وَقَالَ : هُوَ كُلُّ مَرَضٍ عَامٍّ .

وَالصَّحِيحُ الَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ : أَنَّهُ مَرَضُ الْكَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ فِي جِهَةٍ مِنَ الْأَرْضِ دُونَ سَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَيَكُونُ مُخَالِفًا لِلْمُعْتَادِ مِنْ أَمْرَاضٍ فِي الْكَثْرَةِ وَغَيْرِهَا ، وَيَكُونُ مَرَضُهُمْ نَوْعًا وَاحِدًا ؛ بِخِلَافِ سَائِرِ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّ أَمْرَاضَهُمْ فِيهَا مُخْتَلِفَةٌ .

قَالُوا : وَكُلُّ طَاعُونٍ ؛ وَبَاءٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ وَبَاءٍ ؛ طَاعُونًا" .

"شرح مسلم" (١٤/٢٠٤) .

وسيأتي مَزيدُ تعريفٍ بالطاعونِ في شُروحاتِ الحديثِ مِن كلامِ أهلِ العلمِ .

الْمَدِينَةُ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(عَلَى أَنْقَابِ المَدِينَةِ : مَلاَئِكَةٌ ، لاَ يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ ، وَلاَ الدَّجَّالُ) .

صحيح : رواه مالك "رواية يحي" تحقيق عبد الباقي (ص ١٦/٦٨٠) و "رواية الزهري" (١٨٦٠/٦٢/٢) ، وأحمد (٢٣٧/٢، ٣٧٥) ، والبخاري (٦٧١٤) ، ومسلم (١٣٧٩) .

(أَنْقَابٌ): جمعُ: نَقْبٍ بفتحٍ فسكونٍ؛ أي: على مَداخِلِها، وهيَ أبوابُها وفُوَّهاتُ طُرُقِها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(لاَ يَدْخُلُ المَدِينَةَ المَسِيحُ ، وَلاَ الطَّاعُونُ) .

صحيح : رواه البخاري (٥٣٩٩) . انظر: الصحيحة" (٢٤٥٧) ، و "صحيح الجامع" (٧٦٧٧) .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْعَلَاءِ الثَّقَفِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ :

(الْمَدِينَةُ ، وَمَكَّةُ : مَحْفُوفَتَانِ بِالْمَلَائِكَةِ ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهُمَا : مَلَكٌ ، لَا يَدْخُلُهُمَا الدَّجَّالُ ، وَلَا الطَّاعُونُ) .

ضعيف : رواه أحمد (٢/٤٨٣) . عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ وأبوهُ مجهولان .

قال البخاري في "التاريخ الكبير" (٦/١٨٠/٢٠٩٩) : "قَالَ سَعِيد بْنُ مَنصور : إنْ لَمْ يَكُنْ أَخا الأَسود فَلا أَدْرِي" .

ونقله ابن حجر في "تعجيل المنفعة" (٢/٤٧/٧٧٥) ، وقال : "قلت : وَالْأسود هُوَ ابنُ الْعَلَاء بن جَارِيَة مَذْكُورٌ فِي "التَّهْذِيب" ، وَقَالَ ابنُ أبي حَاتِم : قلت : لأبي أهوَ أَخُو الْأسود ابن الْعَلَاءِ فَقَالَ لَا أَدْرِي هُوَ شيخ مديني وَذكره ابنُ حبَّان فِي الثِّقَات بحاصل مَا ذكر إِلَّا الشَّك فِي أَنه أَخُو الْأسود" .

قالَ ابنُ كثيرٍ : "هَذَا – الحديثُ – غَرِيبٌ جِدًّا ، وَذِكْرُ مَكَّةَ فِي هَذَا ؛ لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ ، أَوْ ذِكْرُ الطَّاعُونِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَالْعَلَاءُ الثَّقَفِيُّ هَذَا ، إِنْ كَانَ ابْنَ زَيْدَلٍ ؛ فَهُوَ كَذَّابٌ" . "البداية والنهاية" (١٩/١٨٩) . ط. هجر .

قالَ جامِعُهُ :

المحفوظُ عنِ الثقاتِ ، حديثُ : "الطاعونُ لا يدخلُ المدينةَ" وذَكَرنا هنا جُملةً مِنَ الأحاديثِ في هذا المعنى .

ومما لاشكَّ فيهِ أنَّ "الدّجالَ لا يدخلُ مكةَ والمدينةَ" ، وفي ذلكَ أحاديثٌ صِحاحٌ ، وليسَ هذا مكانُ ذِكْرِها ولا موضوعَنا الدّجّالُ .

وقد اغترَّ بعضُ المتأخرينَ بما في "فتح الباري" لابنِ حجرٍ (١٠/١٩١) ، أنهُ قالَ عن الحديثِ المذكورِ :

"أَخْرَجَهُ عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ فِي "كِتَابِ مَكَّةَ" : عَنْ شُرَيْحٍ ، عَنْ فُلَيْحٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ" .

فيُلاحَظُ اسمُ الراوي : "الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ" ، وهذا خِلافُ المعروفِ ، فإنَّ الحديثَ ؛ يُعرفُ مِن حديثِ عُمَرَ بْنِ الْعَلَاءِ الثَّقَفِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، وليس الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . فتنبَّهْ !

ولا أدري مِمن وَقَعَ اللَّبْسُ ؛ أهُوَ مِن الإمامِ ابنِ شبّة في "كتاب مكة" ، أمْ مِن الحافظِ ابنِ حجرٍ في النقلِ عنهُ ؟

فعَلى هذا ؛ قولُ الحافظِ ابنِ حجرٍ : "وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ" ؛ ليسَ بصحيحٍ ؛ لأن عُمَرَ بْنِ الْعَلَاءِ الثَّقَفِيِّ وأباهُ ؛ مجهولانِ ، فكيفَ يكونانِ مِن رجالِ الصحيحِ ؟!

وعلى كثرةِ الأحاديثِ التي تُفيدُ : بأنَّ الطاعونَ لا يدخلُ المدينةَ ، إلا أننا لم نَجِدْ فيها ذِكرَ مكةَ – شَرَّفَها اللهُ – غيرَ في هذا الحديثِ "الضعيفِ" الذي بين أيدِينا . واللهُ أعلمُ .

التّعْلِيقُ

"(الطَّاعُونُ) بِوَزْنِ فَاعُولٍ : مِنَ الطَّعْنِ ، عَدَلُوا بِهِ عَنْ أَصْلِهِ ، وَوَضَعُوهُ دَالًّا عَلَى الْمَوْتِ الْعَامِّ؛ كَالْوَبَاءِ .

وَيُقَالُ : طُعِنَ فَهُوَ مَطْعُونٌ وطَعِينٌ : إِذَا أَصَابَهُ الطَّاعُونُ . هَذَا كَلَامُ الْجَوْهَرِيِّ .

وَقَالَ الْخَلِيلُ : "الطَّاعُونُ" : الْوَبَاءُ .

وَقَالَ صَاحِبُ "النِّهَايَةِ" : "الطَّاعُونُ" : الْمَرَضُ الْعَامُّ الَّذِي يَفْسُدُ لَهُ الْهَوَاءُ ، وَتَفْسُدُ بِهِ الْأَمْزِجَةُ وَالْأَبْدَانُ .

وَقَالَ أَبُو بكرٍ ابنُ الْعَرَبِيّ : "الطَّاعُونُ" : الوجع الْغَالِبُ الَّذِي يُطْفِئُ الرُّوحَ ؛ كَالذَّبْحَةِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ : لِعُمُومِ مُصَابِهِ ، وَسُرْعَةِ قَتْلِهِ .

وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي : هُوَ مَرَضٌ يَعُمُّ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ ؛ بِخِلَافِ الْمُعْتَادِ مِنْ أَمْرَاضِ النَّاسِ ، وَيَكُونُ مَرَضُهُمْ وَاحِدًا ؛ بِخِلَافِ بَقِيَّةِ الْأَوْقَاتِ فَتَكُونُ الْأَمْرَاضُ مُخْتَلِفَةً .

وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ : "الطَّاعُونُ" : حَبَّةٌ تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْقَاعِ ، وَفِي كُلِّ طَيٍّ مِنَ الْجَسَدِ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ الْوَبَاءُ .

وَقَالَ عِيَاضٌ : أَصْلُ "الطَّاعُونِ" : الْقُرُوحُ الْخَارِجَةُ فِي الْجَسَدِ ، وَالْوَبَاءُ : عُمُومُ الْأَمْرَاضِ ، فَسُمِّيَتْ طَاعُونًا ؛ لِشَبَهِهَا بِهَا فِي الْهَلَاكِ ، وَإِلَّا فَكُلُّ طَاعُونٍ ؛ وَبَاءٌ، وَلَيْسَ كُلُّ وَبَاءٍ ؛ طَاعُونًا .

قَالَ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ : أَنَّ وَبَاءَ الشَّامِ الَّذِي وَقَعَ فِي عَمَوَاسَ ؛ إِنَّمَا كَانَ طَاعُونًا" . انتهى من "الفتح" لابن حجر (١٠/١٨٠) .

قالَ جامِعُهُ :

فالمرضُ أو الفَيْروسُ الذي ظهرَ في بلدٍ منَ البلدانِ هذا العامِ ١٤٤١هـ ، وانتشرَ فيها انتشارَ النارِ في الهَشيمِ ، ثم انتشرَ إلى بلدانٍ شتّى ؛ يُسمّى : طاعونًا مَجازًا ؛ لأنهُ يَطْعَنُ في الناسِ بالموتِ ، ويَفْتِكُ بِهِمْ فَتْكاً ذَريعاً سَريعاً ، ولأنهُ يُشبِهُ "الطاعونَ" في انتشارِهِ وإهلاكِهِ .

ويُسمى : "وباءً" ، قالَ الخليلُ الفراهيديُّ في كتابِهِ "العين" (٨/٤١٨) : "(الوباءُ) ، مهموزٌ ، هُوَ : الطّاعونُ ، وهُوَ أيضًا كلُّ مَرَضٍ عامٍّ ، تقولُ : أصابَ أهلُ الكورةِ العامَ وباءٌ شديدٌ ، وأرضٌ وَبِئةٌ : إذا كَثُرَ مَرْضُها" .

وَقَالَ عِيَاضٌ : "وَبَاءُ الشَّامِ الَّذِي وَقَعَ فِي عَمَوَاسَ ؛ إِنَّمَا كَانَ طَاعُونًا" .

"عَمَوَاس" : هي بُلَيْدَةٌ "قريةٌ" صَغِيرَةٌ معروفةٌ بالشامِ بَيْنَ الْقُدْسِ وَالرَّمْلَةِ .

ففي الحديثِ :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ ؛ لَقِيَهُ أَهْلُ الْأَجْنَادِ : أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ "**الْوَبَاءَ**" قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَقَالَ عُمَرُ : ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ؛ فَدَعَوْتُهُمْ ، فَاسْتَشَارَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ "**الْوَبَاءَ**" قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ ، فَاخْتَلَفُوا .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ .

فَقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّي . ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِي الْأَنْصَارِ ، فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ ، فَاسْتَشَارَهُمْ ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَاخْتَلَفُوا ؛

كَاخْتِلَافِهِمْ ، فَقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّي ، ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ ، فَدَعَوْتُهُمْ ؛ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ ، فَقَالُوا : نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ ، وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا "**الْوَبَاءِ**" .

فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ : إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ .

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ : أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ ؟

فَقَالَ عُمَرُ : لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ – وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ –، نَعَمْ . نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا : خَصْبَةٌ ، وَالْأُخْرَى : جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ ؛ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ ؛ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ .

قَالَ : فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :

(**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**) . قَالَ : فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ انْصَرَفَ" .

رواه مسلم (٢٢١٩) .

"**سَرْغٌ**" بِسِينٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، ثُمَّ رَاءٍ سَاكِنَةٍ ، ثُمَّ غَيْنٍ مُعْجَمَةٍ . وَحَكَى الْقَاضِي وَغَيْرُهُ أَيْضًا: فَتْحَ الرَّاءِ ، وَالْمَشْهُورُ ؛ إِسْكَانُهَا ، وَيَجُوزُ صَرْفُهُ وَتَرْكُهُ ، وَهِيَ : قَرْيَةٌ فِي طَرَفِ الشَّامِ مِمَّا يَلِي الْحِجَازَ .

و "**الْأَجْنَادُ**" : الْمُرَادُ هُنَا : مُدُنُ الشَّامِ الْخَمْسُ ، وَهِيَ : فِلَسْطِينُ ، وَالْأُرْدُنُّ ، وَدِمَشْقُ ، وَحِمْصٌ ، وَقِنِّسْرِينُ . هَكَذَا فَسَّرُوهُ ، وَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ **فِلَسْطِين** : اسْمٌ لِنَاحِيَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

وَالْأَرْدُنُّ : اسْمٌ لِنَاحِيَةِ سِيَّانَ وَطَبَرِيَةَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا . وَلَا يَضُرُّ إِطْلَاقُ اسْمِ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ . "شرح مسلم" للنووي (١٤/٢٠٨) .

قالَ جامِعُهُ :

فسمّوا "الطاعونَ" الذي وقعَ بالشامِ : وباءً . لقولِ عياضٍ : "كُلُّ طَاعُونٍ ؛ وَبَاءٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ وَبَاءٍ ؛ طَاعُونًا" .

والنبيُّ ﷺ الصادقُ المصدوقُ ؛ نفَى أنْ يَدخُلَ الطاعونُ المدينةَ، ولكنَّهُ ﷺ ؛ لم ينفِ الوباءَ عنها ، فقد وَقَعتْ بِها الحُمّى وأصابت بعضَ الصحابةِ ، **ففي الحديث** :

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ ، وَبِلاَلٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى" .

وفيهِ ، قالت رضي الله عنها :

"وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الحُمَّى . قَالَ : اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ

رَبِيعَةَ ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ" .

وقالت فيهِ- : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ ...، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ**) .

قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَقَدِمْنَا المَدِينَةَ وَهِيَ **أَوْبَأُ أَرْضِ اللَّهِ** ، قَالَتْ : فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا تَعْنِي مَاءً آجِنًا" .

رواه مالك (٢/٦٠/١٨٥٨) رواية الزهري ، والبخاري (١٨٨٩)، وغيرهما.

"**بُطْحَانُ**": وادٍ في صحراءِ المدينةِ.

"**يَجْرِي نَجْلًا**": هُوَ ما يجري على وجهِ الأرضِ.

"**آجِنٌ**": مُتغيرُ الطعمِ واللونِ.

العِلّةُ في نقلِ الحُمّى إلى "الجُحْفةِ"؛ لأنها كانت سَكَنَ اليهودِ وليسَ بِها مسلمٌ وقتَها.

وأيضاً: حديثُ أَبِي الأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ أو الدُّؤَلِيِّ ، قَالَ :

"أَتَيْتُ المَدِينَةَ ، وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ ، وَهُمْ يَمُوتُونَ مَوْتًا ذَرِيعًا" .

صحيح : رواه أحمد (١/٣٠، ٤٥) ، والبخاري (١٣٠٢، ٢٥٠٠) ، وأبو يعلى في "المسند" (١/١٣٥/١٤٥) ، والطحاوي "شرح مشكل الآثار" (٣٥٧/٨) ، وابن حبان (٣٠٢٨) .

وقَالَ أَبُو عَسِيبٍ ﷺ ؛ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**أَتَانِي جِبْرِيلُ بِالْحُمَّى ، وَالطَّاعُونِ ، فَأَمْسَكْتُ الْحُمَّى بِالْمَدِينَةِ ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ إِلَى الشَّامِ ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي ، وَرَحْمَةٌ ، وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِينَ**) .

صحيح : رواه أحمد (٥/٨١) ، الحارث بن أبي أسامة في "مسنده- بغية الباحث" (١/٣٥٨/٢٥٥) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١/٣٤٢/٤٦٦) ، والدولابي في "الكنى والأسماء" (١/١٣١، ٢٦١/رقم: ٢٦٨، ٤٦٣ و ٣/١١٠٣/رقم: ١٩٢٩) ، والطبراني في "الكبير" (٢٢/٣٩١/٩٧٤) ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤/٢٩٥) و "المعجم" (١/٥٥٠/٦٨٠) .

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢/٣١٠) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ" . وصححه الألباني . انظر : "الصحيحة" (٧٦١) ، و "صحيح الجامع" (٦٠) .

فالطاعونُ الذي نفاهُ النبيُّ ﷺ عَنِ المدينةِ وأرسلَهُ إلى الشامِ ؛ هُوَ: مرضٌ مُعَيَّنٌ بِعَيْنِهِ ، وإنما سُمِّي الوباءُ : طاعونًا ؛ لِشَبَهِهِ بِهِ فِي الْهَلَاكِ .

قالَ ابنُ حجرٍ:

"الْوَبَاءُ وَتَفْسِيرُهُ: أَنَّهُ أَعَمُّ مِنَ الطَّاعُونِ، وَأَنَّ حَقِيقَتَهُ: مَرَضٌ عَامٌّ يَنْشَأُ عَنْ فَسَادِ الْهَوَاءِ، وَقَدْ يُسَمَّى: طَاعُونًا بِطَرِيقِ الْمَجَازِ.

وهُنَاكَ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الطَّاعُونَ وَالْوَبَاءَ مُتَرَادِفَانِ، بِمَا ثَبَتَ أَنَّ: (الطَّاعُونَ لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ) وَأَنَّ: (الْوَبَاءَ وَقَعَ بِالْمَدِينَةِ) كَمَا فِي قِصَّةِ الْعُرَنِيِّينَ، وَكَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي الْأَسْوَدِ". "الفتح" (١١/١٨٠) .

قالَ جامِعُهُ :

فباعتبارِ أنَّ الطاعونَ مرضٌ مُعيَّنٌ بِعَيْنِهِ ؛ هُوَ: الذي عَناهُ النبيُّ ﷺ وقَصَدَهُ بأنهُ : لا يَدخلُ المدينةَ وأرسلهُ إلى الشامِ ، وَعَرَّفَهُ أهلُ العلمِ بقولِهم : "الْقُرُوحُ الْخَارِجَةُ فِي الْجَسَدِ فِي كُلِّ طَيٍّ مِنَ الْجَسَدِ".

ويُؤَيِّدُهُ ؛ الحديثُ :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**الطَّاعُونُ : غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ ، [تَخْرُجُ بَيْنَ الْآبَاطِ وَالْمَرَاقِّ]** ، ..) .

صحيح : رواه أحمد (٦/١٤٥) ، وابن الأعرابي في "المعجم" (٢٤٥٦) .

وفي لفظ : (**غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْإِبِلِ [الْبَعِيرِ]**) .

حسنٌ : رواه أحمد (٦/١٤٥، ٢٥٥) ، وأبو يعلى في "المسند" (٤٤٠٨) .

وفي لفظٍ للبزّارِ : (**يُشْبِهُ الدُّمَّلَ**) .

قال الهيثمي في "المجمع" (٢/٣١٥) عن الحديث الأول : "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالطَبَرَانِيُّ الْأَوْسَطِ". وعن الثاني ، قال : "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِنَحْوِهِ".

وعن اللفظ الثالث ، قال : "وَلَهَا عِنْدَ الْبَزَّارِ . وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ ، وَبَقِيَّةُ الْأَسَانِيدِ حِسَانٌ" .

وصححه الألباني . انظر : "الإرواء" (١٦٣٨) ، و "الصحيحة" (١٩٢٨) ، و "صحيح الجامع" (٣٩٤٦ ، ٣٩٤٨) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٠٨) .

(غُدَّةٌ) : الغُدة والغددة : "طاعونُ الْإِبِل" : دَاءُ شبهُ الذِّبْحَة ، تخرجُ فِي الْحلقِ أو أسْفَلِ البطنِ يَأْخُذ الْبَعِير ، وهي: لحْمَة تنْبت بَين الْجلد وَاللَّحم يتحركُ بالتحريكِ للبعيرِ وَغيره ؛ كالطاعونِ للإنسانِ ، فترمّ ، وقَلَّما تَسْلَم مِنْهُ ، فَيَأْخذهُ الْمَوْت .

"الفائق"، "مشارق الأنوار"، "النهاية"، و "المصباح".

(الْمَرَاقُّ) "هُوَ بِتَشْدِيدِ الْقَافِ : مَا رَقَّ مِنْ أسْفَلِ الْبَطْنِ فَمَا تَحْتَهُ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَرِقُّ جُلُودُها ولاَنَ ، واحدُها مَرَقٌّ . قَالَهُ الهروي . وقال الجوهري : لا واحدَ لها". "النهاية".

أمَّا باعتبارِهِ : وباءً : أي مَرَضًا عَامًّا ؛ فهوَ الذي عرّفَهُ أهلُ العلمِ أيضًا ، فقالُوا : بأنَّ "الطاعونَ" : هُوَ "الْمَرَضُ والوجعُ الْعَامُّ ، والْغَالِبُ الَّذِي يُطْفِئُ الرُّوحَ" .

وهوَ الذي يطعنُ في الناسِ بالموتِ ويكونُ في بلدٍ مُعَيَّنٍ ووقتٍ مُعَيَّنٍ ويَمُوتُون مَوْتًا ذَرِيعًا .

وبهذا يكونُ الجمعُ في التعريفاتِ بينَ: "الطاعونِ" الذي لا يَدخُلُ المدينةَ ، و "الوباءِ" الذي يَدخُلُ المدينةَ وغيرَها ، ويُسمّى طاعونًا مجازاً لتَشَبُّهِهِ بالطاعونِ في انتشارِهِ وفَتْكِهِ بالناسِ .

وبهذا يُجمَعُ بينَ النصوصِ القائلةِ : "الْمَدِينَةُ لَا يدخلهَا الطَّاعُون" ، وَ بينَ : "قَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ" . واللهُ أعلمُ .

وجاءَ في تعريفِ الطاعونِ ؛ أيضًا : أنهُ وَخْزٌ : طَعْنٌ مِن الجِنّ غيرُ نافِذٍ ، ففي الحديثِ :

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**الطَّاعُونُ : وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ ، وَفِي كُلٍّ شُهَدَاءُ**) .

صحيح : رواه الطيالسي (٥٣٤) ، وأحمد (٤/٣٩٥، ٤١٣، ٤١٧) ، والبزار "البحر الزخار" (٨/١٦، ٢٩٨٦/١٧، ٢٩٨٨) .

صححه الألباني . انظر: "الإرواء" (١٦٣٧) ، و "الضعيفة" (١/١٩٨) ، وصحيح الجامع" (٣٩٥١، ٤٢٣١) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٠٣) .

قال ابنُ المُنذرِ في "الترغيب" :

"(**الوَخْزُ**) بفتحِ الواوِ وسُكونِ الخاءِ المعجمةِ بعدها زايٌ: هُوَ الطعنُ".

قالَ الألبانيُّ : "هُوَ كَما قالَ ، لكنْ ليسَ بنافِذٍ . كذا قَيَّدَهُ أهلُ اللغةِ : الجوهريُّ وغيرُهُ. أفادَهُ الناجي" .

اخْتِيارُ النبيِّ ﷺ البلاءَ لأُمَّتِه بالطاعونِ وغَيْرِه لِرَفْعِ دَرَجاتِهم

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ قَيْسٍ ؛ أَخِي أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**اللهُمَّ ! اجْعَلْ فَنَاءَ أُمَّتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ : بِالطَّعْنِ، وَالطَّاعُونِ**) .

صحيح : رواه ابن أبي شيبة في "المسند" (٢/١٣٠/٦٢٣) ، وأحمد (٣/٤٣٧ و ٤/٢٣٨) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٤/٤٥٠/٢٥٠٣) ، والدولابي في "الكنى" (١٢٢) ، والطبراني في "الكبير" (٢٢/٣١٤/٧٩٢) ، والحاكم (٢/٩٣) ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

قال الهيثمي في "المجمع" (٢/٣١٢) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالْطَبَرَانِيُّ فِي "الْكَبِيرِ" ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ" .

وصححه الألباني . انظر : "الإرواء" (٦/٧٢) ، و "صحيح الجامع" (١٢٥٨) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٠٥) .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(فَنَاءُ أُمَّتِي : بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ) .

صحيح : رواه أبو حنيفة في "مسنده" رواية أبي نعيم (ص ٩٩، ١٠٥) ، وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة في "الآثار" (٩٠٧) ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، صاحب مالك في "الآثار" (٢/٢٩٢/٢٦٧) ، والطيالسي (٥٣٤) ، وأحمد (٤/٣٩٥، ٤١٧) ، والبزار في "البحر الزخار" (٢٩٨٦، ٢٩٨٨) ، والروياني في "مسنده" (١/٣٦٣/٥٥٣) ، والطبراني في "الأوسط" (١٣٩٦، ٣٤٢٢، ٨٥١٢) و "الصغير" (٣٥١) .

صححه الألباني . انظر: "الإرواء" (١٦٣٧) ، و "صحيح الجامع" (٤٢٣١) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٠٣) .

ومن حديثِ **ابْنِ عُمَرَ** ﷺ عند الطبراني في "الأوسط" (٢٢٧٣) و "الصغير" (١٢٨) .

وَعَنْ عَائِشَةَ ﷺ ، قَالَتْ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ ؛ فَأَخْبَرَنِي : (**أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ**

فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ) .

صحيح : رَوَاهُ وأحمد (٦/٦٤، ١٥٤) ، والْبُخَارِيُّ (٣٢٨٧، ٥٤٠٢، ٦٢٤٥) ، والبيهقي في "الكبرى" (٣/٣٧٦) . سيأتي في "الشهادة والرحمة للمؤمنين" و "عذاب للكافرين" وغيره .

صححه الألباني . انظر : "أحكام الجنائز" (ص ٣٧) ، و "صحيح الجامع" (٣٩٤٩) .

وَعَنْ مُعَاذَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ الْعَدَوِيَّةِ ، قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فَقَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(لَا تَفْنَى أُمَّتِي ؛ إِلَّا [فَنَاءُ أُمَّتِي] بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ) .

صحيح : رواه أحمد (٦/١٣٣، ١٤٥، ٢٥٥) .

صححه الألباني . انظر : "الصحيحة" (٢/٢٨٢) . وقال الأرنؤوط "تحقيق "المسند" (٢٥١١٨) : "إسناده جيد" .

الطاعُونُ شَهادَةٌ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ﵁ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**الطَّاعُونَ : شَهَادَةُ الْمُسْلِمِ**) .

صحيح : رواه أحمد (٤/٤١٣) ، والروياني في "المسند" (١/٣٣٧/٥١٤) ، والحاكم (١/٥٠) ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

ولفظه : (**وَهُوَ لَكُمْ شَهَادَةٌ**) .

ووافقهما الألباني . انظر : "الإرواء" (٦/٧٢) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٠٤) وقال فيه : "حسن صحيح" .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ ؟**) . قَالُوا : مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ .

قَالَ : (**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ : الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهَادَةٌ ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ** ..) .

صحيح : رواه عبد الرزاق في "المصنف" (٥/٢٧٠/٩٥٧٤) ، وأحمد (٢/٣١٠) ، والطبراني في "الأوسط" (٥٢٠٠) .

وَجاءَ مِنْ حدِيثِ **عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ** ﷺ ، بسند صحيح.

صحيح : أخرجه الطيالسي (٥٨٢) ، وأحمد (٤٨٩/٣ و ٢٠١/٤ و ٣١٤/٥، ٣٢٣) ، والدارمي في "السنن" (٢٤١٤) زمرلي ، والشاشي في "المسند" (١٣٠٢/٢٠٨/٣-١٣٠٥) ، والطبراني في "الأوسط" (٩٣١٤) و "الشاميين" (٢٧٦٣) ، وأبو نُعيم في "الطب النبوي" (٦٠٧/٥٧٧/٢) ، والبيهقي في "الشعب" (١٦٩/٧) ، والضياء في "المختارة" (٥٣٢/٢٨٩/٨، ٥٣٣) وقال : "إِسْنَاده صَحِيح" .

صححها الألباني ، وغيرها عن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم .

انظر : "أحكام الجنائز" (ص ٣٩) ، و "الصحيحة" (٧٦١) ، و "صحيح الجامع" (٤٤٣٨، ٤٤٣٩) ، و "صحيح الترغيب" (١٣٩٥، ١٣٩٦).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(**الطَّاعُونُ : شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**) .

صحيح : رواه أحمد (١٥٠/٣، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٥٨، ٢٦٥) ، والبخاري (٢٦٧٥، ٥٤٠٠) ، ومسلم (١٩١٦) ، والطيالسي (٢١١٣) .

صححه الألباني . انظر : "صحيح الجامع" (٣٩٤٧) .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(**فَنَاءُ أُمَّتِي : بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ ..، وَفِي كُلٍّ شُهَدَاءُ [شَهَادَةٌ]**) .

حسنٌ : رواه أبو يوسف صاحب أبي حنيفة في "الآثار" (٩٠٧) ، ومحمد بن الحسن الشيباني في "الآثار" (٢٦٧) ، والطيالسي (٥٣٤) ، وأحمد (٤/٣٩٥، ٤١٧) ، والبزار "البحر الزخار" (٢٩٨٦، ٢٩٨٨) ، والروياني في "مسنده" (١/٣٦٣/٥٥٣) ، والطبراني في "الأوسط" (١٣٩٦، ٣٤٢٢، ٨٥١٢) و "الصغير" (١٢٨، ٣٥١) الحاج أمرير ، وأبو نُعيم في "مسند أبي حنيفة" (ص ٩٩، ١٠٥) .

قال ابن المنذر في "الترغيب" : "رواه أحمد بأسانيد أحدها صحيح ، وأبو يعلى ، والبزار ، والطبراني" .

قال الهيثمي في "المجمع" (٢/٣١٢) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ بِأَسَانِيدَ ، وَرِجَالُ بَعْضِهَا رِجَالُ الصَّحِيحِ ، وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى ، وَالْبَزَّارُ ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي (الثَّلَاثِ)" .

صححه الألباني . انظر : "الإرواء" (١٦٣٧) ، و "صحيح الجامع" (٤٢٣١) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٠٣) .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**فَنَاءُ أُمَّتِي فِي الطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ .. ، وَفِي كُلٍّ شَهَادَةٌ**) .

صحيح : رواه الطبراني في "الأوسط" (٢٢٧٣) طارق ، والحسيني .

صححه الألباني . انظر : "صحيح الجامع" (٤٢٣١) .

عَنْ أَبِي عَسِيبٍ رضي الله عنه ؛ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي** ..) .

صحيح : رواه الدولابي في "الكنى" (٢٦٨، ٤٦٣، ١٩٢٩) . وسبق بتمامه ، وبتخريج أوسع .

انظر : "الصحيحة" (٧٦١) ، و "صحيح الجامع" (٦٠، ٣٩٤٦، ٣٩٥٠) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٠١) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي**) .

صحيح : رواه ابن الأعرابي في "معجمه" (٢٤٥٦/١١٣٩/٣) ، والطبراني في "الأوسط" (٥٥٣١/٣٥٣/٥) .

صححه الألباني . انظر : الصحيحة" (١٩٢٨) ، و "صحيح الجامع" (٣٩٤٦) .

وَفِيهِ ، قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(**مَنْ مَاتَ فِيهِ** – أيْ : فِي الطَّاعُونِ– ؛ **مَاتَ شَهِيدًا** ، **وَمَنْ أَقَامَ فِيهِ ؛ كَانَ كَالْمُرَابِطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**).

صحيح : رواه ابن الأعرابي في "معجمه" (٣/١١٣٩/٢٤٥٦) .

انظر : "الصَّحِيحَة" (١٩٢٨) ، و "صحيح الجامع" (٣٩٤٦) .

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ :

(**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ**) .

صحيح : رواه أحمد (٣/٤٠١ و ٦/٤٦٦) ، والدارمي في "السنن" (٣/٢٧٣/٢٤١٣) زمرلي ، والنسائي (٢٠٥٤) و "الكبرى" الأرنؤوط (٢١٩٢) وكسروي (٢١٨١) ، والطبراني في "الكبير" (٨/٥٦/٧٣٢٨-٧٣٣٠) ، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٨/٢٥، ٢٦) وقال: "إِسْنَاده حسن" .

صححه الألباني . انظر : "صحيح الجامع" (١٩/٤) ، و"أحكام الجنائز" (ص ٣٨-٣٩) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(مَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ) .

صحيح : رواه مسلم (١٩١٥) ، وابن حبان (٣١٨٦) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :

(الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ ...) .

رواه مالك رواية يحيى (٦/١٢٦/١) ورواية أبي مصعب (٣٢٧/١٢٨/١) ورواية الشيباني (٣٠٣/١٠٨/١) ، وأحمد (٣٢٤/٢، ٥٣٣) ، والبخاري (٦٢٤، ٢٦٧٤) ، ومسلم (١٩١٤) ، والترمذي (١٠٦٣) ، والبزار "البحر الزخار" (٨٩٦٥/٣٧٣/١٥) ، والنسائي في "الكبرى" الأرنؤوط (٧٤٨٧) ، والبيهقي في "الشعب" (١٦٩/٧) و "الآداب" (٧٤٣) ، والبغوي في "شرح السنة" (٣٨٤/٢٣٠/٢) ، والضياء في "المختارة" (٨٧/٩-٧٠/٨٨) .

(**الْمَطْعُونُ**) : الميِّتُ بمرضِ الطاعونِ .

الطَّاعُونُ رَحْمَةٌ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

عَنْ أَبِي عَسِيبٍ ﷺ ؛ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي ، وَرَحْمَةٌ لَهُمْ)** .

صحيح : سبق في الفصل السابق مختصرًا، وبتمامه قبله ، وبتخريج أوسع .

انظر : "الصحيحة" (٧٦١) ، و "صحيح الجامع" (٦٠، ٣٩٤٦، ٣٩٥٠) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٠١) .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ : "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ ، فَأَخْبَرَنِي :

(إِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ..) .

صحيح : رواه أحمد (٦/٦٤، ١٥٤) ، والبخاري (٣٢٨٧، ٥٤٠٢، ٦٢٤٥) ، والنسائي في "الكبرى" الأرنؤوط (٧٤٨٥) و (٧٥٢٧) كسروي ، والبغوي في "شرح السنة" (٥/٢٥٣/١٤٤٢) . وقد سبق في "اختيار النبي ﷺ ، وسيأتي بتخريج أوسع في "عذاب للكافرين" .

صححه الألباني . انظر: "المشكاة" (١٥٤٧) ، و "صحيح الجامع" (٣٩٤٩) ، و "أحكام الجنائز" (ص ٣٧) .

وَعَنْ أَبِي مُنِيبٍ الْأَحْدَبِ الْجُرَشِيِّ ، قَالَ : خَطَبَ مُعَاذٌ ﷺ بِالشَّامِ ، فَذَكَرَ الطَّاعُونَ ، فَقَالَ : "إِنَّهَا رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَقَبْضُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ .." .

رواه أحمد (٥/٢٤٠) ، والطبراني في "الكبير" (٢٠/١٢١/٢٤٣) ، والحاكم (٣/٣٧٦) .

قال الهيثمي في "المجمع" (٢/٣١١) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بَعْضَهُ فِي "الْكَبِيرِ" ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ ، وَإِسْنَادُهُ مُتَّصِلٌ" .

وَعَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ ﷺ ، قَالَ – عنِ الطَّاعُونِ-:

"إِنَّهَا رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ" .

فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرو بْنَ الْعَاصِ ﷺ ، فَقَالَ : "صَدَقَ" .

صحيح : رواه عبد الرزاق في "المصنف" (١١/١٤٩/٢٠١٦٤) ، وأحمد (٤/١٩٦) ، والبزار "البحر الزخار" (٧/١١٤/٢٦٧١) ، والطحاوي في "المعاني" (٤/٣٠٦) ، وابن حبان (٢٩٥١) ، والطبراني في "الكبير" (٧/ ٣٦٥/٧٢١٠) ، وابن عبد البر في "التمهيد" (٨/ ٣٧٢) . وسيأتي مطولاً في فصل : "الحذر من الفرار من الطاعون" .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ ، قَالَ : شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ، قَالَ : "وَلَكِنَّهُ – الطَّاعُونَ- رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَوَفَاةُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ".

رواه أحمد (٤/١٩٥)، والبزار "البحر الزخار" (٧/١١٤/٢٦٧١)، والطبراني في "الكبير" (٧/٣٦٥/٧٢٠٩) ، والبيهقي في "الشعب" عن قتادة (٧/٢٢٢/١٠٠٨٦) . وسيأتي .

وعَن عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه ؛ قَامَ فِي الْجَيْشِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ حِينَ وَقَعَ الْوَبَاءُ ، فَقَالَ :"يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَوَفَاةُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ" .

رواه الحاكم (٣/٣٧١) ، والبيهقي في "الشعب" (٧/٢٢١/١٠٠٨٣) .

عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَابِّهِ، - رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ كَانَ خَلَفَ عَلَى أُمِّهِ بَعْدَ أَبِيهِ كَانَ شَهِدَ طَاعُونَ عَمَوَاسَ — ، قَالَ : "لَمَّا اشْتَعَلَ الْوَجَعُ ، قَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي النَّاسِ خَطِيبًا ، فَقَالَ : " أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ" .

وَاسْتُخْلِفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، فَقَامَ خَطِيبًا بَعْدَهُ ، فَقَالَ :

"أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ" .

رواه أحمد (١/١٩٦) ، والطبراني في "الكبير" (٢٠/١١٦/٢٣٠، ٣٣١)، والبيهقي في "الشعب" (٧/٢٢٢) .

قال الهيثمي في "المجمع" (٢/٣١٦) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَشَهْرٌ فِيهِ كَلَامٌ ، وَشَيْخُهُ لَمْ يُسَمَّ" .

مناقَشَةٌ

"فَإن قلتَ : الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ ، وَكَيف مُنِعَت من الْمَدِينَة وَمَا وَجهُ ذِكْرِ الْمَسِيحِ مُقَارنًا بالطاعونِ ؟

قُلتُ : قد تكلمُوا فِي الْجوابِ بِكَلَامٍ كثيرٍ ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ المُرَادَ بالطاعونِ هُوَ : وخزُ الْجِنّ .

وكفارُ الْجِنّ وشياطينُهم ؛ ممنوعون مِن دُخُولِ الْمَدِينَة ، وَمَن اتّفقَ دُخُوله إِلَيْهَا ؛ لَا يتَمَكَّنُ مِن طعنِ أحدٍ مِنْهُم .

فَإن قلتَ : طعنُ الْجِنّ لَا يَخْتَصُّ بكُفَّارِهِم ، بلْ قد يَقعُ مِن مُؤْمنيهم .

قُلتُ : دُخُولُ كُفّارِ الإِنْسِ الْمَدِينَة ؛ مَمْنُوعٌ وَلَا يسكنهَا إِلَّا الْمُسلمُونَ ، وَإِنْ كَانَ فيهِم مَن لَيْسَ بخالصِ الْإِسْلَامِ ؛ فَيحصلُ الْأَمْنُ مِن وُصُولِ الْجِنّ إِلَى طعنِهِم ، فَلذَلِك : لَا يحصلُ فِيهَا الطَّاعُونُ أصلًا .

وَقد رَوَى أَحْمَدُ مِن رِوَايَة أبي عَسِيبٍ ، قَالَ : قَالَ النَّبِي ﷺ :
(**أَتَانِي جِبْرَائِيل عَلَيْهِ السَّلَام بالحُمّى والطاعونِ ، فَأَمْسَكتُ الْحُمّى بِالْمَدِينَةِ، وَأرْسلتُ الطَّاعُونَ إِلَى الشَّام**) .

وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِك : أَن النَّبِي ﷺ لَمّا دخلَ الْمَدِينَة ؛ كَانَ فِي قلَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدداً وَمَدداً ، وَكَانَت الْمَدِينَةُ وَبِئَةً ، ثمَّ خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَمريْنِ يحصلُ بِكُلٍّ مِنْهُمَا الْأجرُ الجزيلُ ، فَاخْتَارَ الْحُمّى حِينئذٍ لِقلَّة الْمَوْتِ بهَا غَالِباً ، بِخِلَاف الطَّاعُونِ .

ثمَّ لما احْتَاجَ إِلَى جِهَادِ الْكُفَّارِ ، وَأُذن لَهُ فِي الْقِتَال ؛ كَانَت قَضِيَّةُ اسْتِمْرَار الْحُمّى بِالْمَدِينَةِ : أَن تُضْعِفَ أجسادَ الَّذين يَحْتَاجُونَ إِلَى التقويةِ ؛ لأجلِ الْجِهَادِ ، فَدَعَا بِنَقْلِ الْحُمّى مِنَ الْمَدِينَة إِلَى الْجُحْفَةِ ، فَعَادَت الْمَدِينَةُ أَصَحَّ بِلَادِ اللهِ بَعْدَ أَنْ كَانَت بِخِلَافِ ذَلِك" . انتهى .

"عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (٢١/٢٦٠/ حديث: ٥٧٣١) .

الطاعُونُ عَذابٌ للكافِرينَ

عَنْ أَبِي عَسِيبٍ ﷺ ؛ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**الطَّاعُونَ رِجْزٌ عَلَى الْكَافِرِينَ**) .

صحيح : رواه الدولابي في "الكنى والأسماء" (٢٦٨، ٤٦٣، ١٩٢٩).
وسبق بتمامه ، وبتخريج أوسع .

(**رِجْزٌ**) : عَذابٌ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَنِي : (**أَنَّهُ [كَانَ عَذَابًا] عَذَابٌ ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**)

صحيح : رَوَاهُ إسحاق ابن راهويه في "مسنده" (١٧٦١/١٠١٦/٣) ، وأحمد (٦٤/٦، ١٥٤) ، والْبُخَارِيُّ (٣٢٨٧، ٥٤٠٢، ٦٢٤٥) ، والنسائي في "الكبرى" الأرنؤوط (٧٤٨٥) وكسروي (٧٥٢٧) ، والبيهقي في "الكبرى" (٣٧٦/٣) و "الأسماء والصفات" (٣٠٣/٣٧٦/١) ، والبغوي في "شرح السنة" (١٤٤٢/٢٥٣/٥) . وقد سبق في " اختيار النبي ﷺ" . صححه الألباني .
انظر : "أحكام الجنائز" (ص ٣٧) ، و "صحيح الجامع" (٣٩٤٩) .

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ : رِجْزٌ ، سُلِّطَ [أُرْسِلَ] عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**) .

وفي لفظٍ :

(**إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْزٌ، أَوْ بَقِيَّةٌ مِنْ عَذَابٍ عُذِّبَ بِهِ قَوْمٌ قَبْلَكُمْ**) .

وفي روايةٍ :

(**إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ أَوِ السَّقَمَ : رِجْزٌ ، أَوْ عَذَابٌ ، عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الأُمَمِ ، ثُمَّ بَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ ، فَيَذْهَبُ المَرَّةَ وَيَأْتِي الأُخْرَى**) .

وفي لفظٍ:

(**إِنَّ هَذَا الْوَبَاءَ : رِجْزٌ ، أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ [بَعْضَ] الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ ، وَقَدْ بَقِيَ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ شَيْءٌ ، يَجِيءُ أَحْيَانًا ، وَيَذْهَبُ أَحْيَانًا**) .

وفي لفظٍ :

"عَنِ الطَّاعُونِ" : (هُوَ عَذَابٌ أَوْ رِجْزٌ أَرْسَلَهُ اللهُ عَلَى نَاسٍ [أُنَاسٍ] مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَوْ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَهُوَ يَجِيءُ أَحْيَانًا ، وَيَذْهَبُ أَحْيَانًا) .

وفي روايةٍ :

(إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رِجْزٌ [رِجْسٌ] أَوْ عَذَابٌ أَوْ بَقِيَّةُ عَذَابٍ عُذِّبَ بِهِ أُنَاسٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) .

وفي روايةٍ :

(الطَّاعُونُ : هُوَ عَذَابٌ أَوْ رِجْزٌ [رِجْسٌ] ؛ أَرْسَلَهُ اللهُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَوْ نَاسٍ كَانُوا قَبْلَكُمْ) .

صحيح : رواه مالك في الموطأ" رواية الشيباني (٢/٣٣٦/٩٥٥) ورواية أبي مصعب (٢/٦٦/١٨٦٨) ورواية يحيى (ص ٦٨٣/٢٣) ، وعبد الرزاق في "مصنفه" (١١/١٤٦/٢٠١٥٨) ، والحميدي في "مسنده" (١/٢٤٩/٥٤٤)

الأعظمي، وابن أبي شيبة في "المسند" (١/١٣٠/١٧١) ، وأحمد (١/١٨٢ و ٥/٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٩) ، والبخاري (٣٢٨٦، ٥٣٩٦، ٦٥٧٣) ، ومسلم (٢٢١٨) ، والبزار "البحر الزخار" (٧/٣٩/٢٥٨٧) ، وأبو عوانة في "مستخرجه" (٩٧٦٩، ٩٧٧٠، ٠٧٤٤) ط. الجَامِعَة الإسلاميَّة ، الأوُلى ، ١٤٣٥هـ .، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٤/٣٠٦) ، وابن حبان (٢٩٥٢، ٢٩٥٤) ، والطبراني في "الكبير" (١/١٣١/٢٧٣ و ١/١٦١/٣٨٣، ٣٨٤ و ١/١٦٥/٤٠٣) ، والبيهقي في "الكبرى" (٣/٣٧٦ و ٧/٢١٧) .

صححه الألباني . انظر : صحيح الجامع" (٢٢٥٣) .

الحَجْرُ الصِحيُّ مِنَ الأمراضِ المُعدِيَة كالطاعونِ والجُذامِ والجُدريِّ والكُليرا وكُرونا
وَجَعْلُ المُصابِ بَعيدًا عنِ المُحيطِ الكبيرِ أو قدرَ رُمحٍ مِنَ المُحيطِ الصغيرِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(لَا يُورَدُ [يَحُلَّ] مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ) .

صحيح : رواه مالك رواية أبي مصعب (١٩٨٩/١٢٤/٢) ، وعبد الرزاق في "المصنف" (١٩٥٠٧/٤٠٤/١) ، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٦٤٦١/٤٥/٩) و"الأدب" (١٨١) ، وأحمد (٤٠٦/٢، ٤٣٤) ، والبخاري (٥٤٣٧، ٥٤٣٩) ، ومسلم (٢٢٢١) ، وأبو داود (٣٩١١) ، وابن ماجه (٣٥٤١) ، والبزار "البحر الزخار" (٧٩٤١/٣٠٩/١٤) ، وأبو عوانة في "مستخرجه" (٩٧٨٤-٩٧٨٨) ، والطحاوي في "المشكل" (٣٤٩/٤، ٣٥٠) و "المعاني" (٣٠٣/٤) ، وابن حبان (٦١١٥) ، والطبراني في "الأوسط" (٢٠٤، ٣٤٨٥) و "مسند الشاميين" (٣٠٤١/١٧٦/٤) ، والبيهقي في "الكبرى" (١٣٥/٧، ٢١٦، ٢١٧، ٣٥٣، ٣٥٤) و "الصغرى" (٦٥/٣) و "الآداب" (٣٥٠) ، والبغوي في "شرح السنة" (١٦٧/١٢، ١٧١) . صححه الألباني . انظر : "الصحيحة" (٩٧١) ، و "التعليقات الحسان" (٦١١٥) ، و "صحيح الجامع" (٧٨١٠) .

عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ ، قَالَ : "كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ ؛ رَجُلٌ مَجْذُومٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ : (**إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ ؛ فَارْجِعْ**)" .

صحيح : رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٤٥٩٤/١٣١/٨ و ٦٤٥٧/٤٣/٩) و"الأدب" (١٧٧) و "المسند" (٩٠٩/٣٨٩/٢) ، ومسلم (٢٢٣١) ، والبيهقي في "الآداب" (٣٥٠) و "الشعب" (١٣٥٧/١٢٢/٢) و "الصغرى" (٢٠١٥/٦٥/٣) والكبرى" (٢١٨/٧) .

صححه الألباني . انظر : "الصحيحة" (١٩٦٨) .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (.. **فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ** – أيْ: بِالطَّاعُون– **بِأَرْضٍ ؛ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ؛ فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**) .

سبقَ تخريجُه في الفصل السابق: "عذاب للكافرين" .

وفي روايةٍ :

عَنْ عامرِ بنِ سعدٍ ، قالَ : جاءَ رجلٌ إلى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه ؛ يسألُهُ عن الطاعونِ ؟ فقالَ أسامةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه : أَنا أُحدثُكَ .

سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : (**إذا هَجمَ الطاعونُ وأَنتم بأرضٍ ؛ فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بأَرضٍ ؛ فَلَا تَدخُلُوها**) .

رواه أبو عوانة في "مسنده" (٩٧٤٤، ٩٧٤٥، ٩٧٤٦) ط. الجامعة الإسلامية ، وأبو طاهر المخَلِّص في "المخلِّصيات" (٣٨٢) ، وابن بشران في "فوائده" (٦٧٩) ، وابن عساكر في "المعجم" (٧٦٩) . وقد سبق تخريج أصله أعلاه .

وفي لفظٍ :

(**فإذا سَمِعتُم بهِ في قريةٍ ؛ فلا تَدخلوا عليهِ ، وإذا دَخلها عليكُم ؛ فَلَا تخرُجوا مِنها فِرارًا مِنْهُ**) .

وفي لفظٍ :

(**فإذا كان بأرضٍ وأنتم ليسَ بِها ؛ فلا تهبِطوا عليه ، وإذا كانَ بأرضٍ وأنتُم بِها ؛ فلا تهرُبوا مِنْهُ**) .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَالِكٍ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : (**إِذَا كَانَ الطَّاعُونُ بِأَرْضٍ ؛ فَلا تَهْبِطُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا كَانَ [وَقَعَ] بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ؛ فَلا [تَخْرُجُوا مِنْهَا] تَفِرُّوا مِنْهُ**) .

صحيح : رواه أحمد (١/١٧٥، ١٨٠، ١٨٦) ، والدَّوْرَقي في "مسند سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ" (٩٥) ، والبزار "البحر الزخار" (٤/٣٤/١١٩٦) ، وأبو يعلى في "المسند" (٢/١٠٦/٧٦٦) ، والشاشي في "مسنده" (١/١٩٩-٢٠٠/١٥٤) ، والضياء في "المختارة" (٣/١٦١/٩٥٨) وقال: "إِسْنَاده صَحِيح" .

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (**فَإِذَا كَانَ - الطَّاعُونُ - بِأَرْضٍ لَسْتُمْ بِهَا فَلَا تَهْبِطُوا عَلَيْهِ وَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**) .

رواه البخاري (٥٣٩٧، ٥٣٩٨، ٦٥٧٢) ، ومسلم (٢٢١٩) ، وابن حبان (٢٩٠١) واللفظ له . وقد سبق في أول البحث .

التعليقُ

قالَ الحافظُ المُنذريُّ :

"أخذَ بظاهرِ الحديثِ : (فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ) ؛ أكثرُ أهلِ العلمِ ، وقالوا : لم يُنْهَ عَن دُخولِ أرضِ الطاعونِ والخروجِ مِنها ؛ مخافةَ أنْ يُصيبَهُ غيرُ ما كُتب عليه ، أو يهلك قبل أجله .

لكن : حذارِ الفتنة على الحيِّ مِن أنْ يظنَّ أنَّ هُلْكَ مَن هَلَك ؛ مِن أجلِ قُدومِهِ ، ونجاةَ مَن نجا ؛ لِفرارِهِ ، وهذا نحوُ نَهيِهِ عنِ "الطِّيرة" والقُربِ مِن "المجذومِ"، معَ قولِهِ : "لا عَدوى ولا طِّيرة" .

وقد رُوي عنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه ، أنهُ قالَ : الطَّاعُونُ : فِتْنَةٌ عَلَى الْمُقِيمِ وَالْفَارِّ . أَمَّا الْفَارُّ ، فَيَقُولُ : فَرَرْتُ ؛ فَنَجَوْتُ .

وَأَمَّا الْمُقِيمُ ، فَيَقُولُ : أَقَمْتُ ؛ فَمِتُّ" .

ورُوي عن أبي موسى الأشعريِّ ، ومسروقٍ ، والأسودِ بنِ هِلالٍ : أنهم فَرّوا مِن الطاعونِ ، ورُوي عن عمرو بنِ العاصِ نحوُهُ" .

"مختصر سنن أبي داود" (٢٨٠/٤/حديث: ٢٩٧٥) للمنذري ، ضمن "معالم السنن" للخطابي ، و " تَهْذِيْبُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ وَإِيضاحِ مُشكِلاتِهِ" لابن القيم . والحديث في "السنن" برقم (٣١٠٣) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ :

(**وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ ؛ فِرَارَكَ [كَمَا تَفِرُّ] مِنَ الْأَسَدِ**) .

أَوْ قَالَ : (**مِنَ الْأَسْوَدِ**) .

صحيح : رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٤٥٩٥/١٣٢/٨) و(٦٤٥٩/٤٤/٩) و "الأدب" (١٧٩) ، وأحمد (٤٤٣/٢) ، والبخاري (٥٣٨٠) ، والبيهقي "الصغرى" (٢٥١٤/٦٥/٣) و "الآداب" (٣٥٠) ، والبغوي في "شرح السنة" (٣٢٤٧/١٦٧/١٢) .

صححه الألباني . انظر: "الصحيحة" (٧٨٣) ، و "الضعيفة" (١٠٦/٥ و ٤٢٧/٨) .

(**الْمَجْذُومُ**) ؛ أَيِ : الَّذِي بِهِ جُذَامٌ بِضَمِّ أَوَّلِهِ ، وَهُوَ تَشَقُّقُ الْجِلْدِ ، وَتَقَطُّعُ اللَّحْمِ وَتَسَاقُطُهُ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُومِينَ**) .

حسن : رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٤٥٩٦/١٣٢/٨ و ٦٤٥٨/٤٤/٩) و "الأدب" (١٧٨) ، وأحمد (٢٣٣/١) ، وابن ماجه (٣٥٤٣) ، وأبو نُعيم في "الطب النبوي" (٢٨٩/٣٥٣/١) ، والبيهقي في "الكبرى" (٢١٨/٧، ٢١٩) .

صححه الألباني . انظر: "الصحيحة" (١٠٦٤) ، و "صحيح الجامع" (٧٢٦٩) ، و "الضعيفة" (٤٢٧/٨) .

عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِهِ هَذَا الْوَجَعُ : الْجُذَامُ ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :

فَإِذَا أُتِيَ بِالطَّعَامِ إِلَى عُمَرَ وَعِنْدَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، قَالَ :

"يَا فُلَانُ ! كُلْ مِمَّا يَلِيكَ . فَايْمُ اللَّهِ !

لَوْ كَانَ غَيْرُكَ بِهِ مَا بِكَ أَوْ بِهِ الَّذِي بِكَ ؛ مَا قَعَدَ مِنِّي عَلَى أَدْنَى مِنْ قَيْسِ رُمْحٍ" .

قَالَ حَرْمَلَةُ : هُوَ مُعَيْقِبٌ خَازِنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ.

وفي لفظٍ :

"كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أُتِيَ بِالطَّعَامِ وَعِنْدَهُ مُعَيْقِيبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ الدَّوْسِيُّ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ مَجْذُومًا ، قَالَ لَهُ : يَا مُعَيْقِيبُ !

"كُلْ مِمَّا يَلِيكَ ، فَايْمُ اللَّهِ ، أَنْ لَوْ غَيْرُكَ بِهِ مَا بِكَ ؛ مَا جَلَسَ مِنِّي عَلَى أَدْنَى مِنْ قِيسِ رُمْحٍ" .

رواه ابن وهب في "الجامع" (٦٣٦) ، والطبري في "تهذيب الآثار – مسند علي" (٨٧/٣٢/٣). وأورده ابن حجر في "إتحاف المهرة" (١٥٢٦٣/١٤٢/١٢).

وفي روايةٍ :

"أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، قَالَ لِلْمُعَيْقِيبِ : "اجْلِسْ مِنِّي قِيدَ رُمْحٍ" ، قَالَ : "وَكَانَ بِهِ ذَاكَ الدَّاءُ، وَكَانَ بَدْرِيًّا" .

"**قِيس رُمْحٍ**"؛ أي: قدرُ وقِيدُ رُمحٍ.

التعليقُ

قالَ القاضي عِياض :

وقد ذهبَ بعضُ أهلِ العلمِ : إلى الجمعِ بينَ الحُكمين بأنَّ أَمْرَهُ عليه السلام : بتجنبِ ذلكَ على سبيلِ الاحتياطِ ومخافةُ ما يقعُ في النفسِ مِن أمرِ العَدوى .

ثم فعلهُ بخلافِ ذلك : ليُرى أنَّ أمرَهُ ليسَ على الوجوبِ والتحريمِ .

وإلى هذا نَحا الطبريُّ . وذهبَ الباجيُّ : إلى أنه بمعنى الإباحةِ ؛ أي : إذا لم يصبرْ على أذاهُ وكرهَتَ مجاورتَهُ ؛ فمُباحٌ لكَ أن تَفِرَّ مِنهُ" . "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (٧/١٦٤) .

قال الألبانيُّ مُعلِّقًا على الحديثينِ ومبيِّنًا :

(**لَا يُورَدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**) و (**إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ ؛ فَارْجِعْ**) :

"واعلَمْ أنهُ لا تعارُضَ بينَ هذينِ الحديثينِ وبينَ أحاديثِ (لا عدوى ...) ؛ لأنَّ المقصودَ بِهما : إثباتُ العدوى ، وأنها تنتقلُ بإذنِ اللهِ تعالى مِن المريضِ إلى السليمِ .

والمرادُ بتلكَ الأحاديثِ : نفيُ العدوى التي كانَ أهلُ الجاهليةِ يعتقدونها ، وهي : انتقالُها بنفسِها دُونَ النظرِ إلى مشيئةِ اللهِ في ذلكَ ؛ كما يُرشدُ إليهِ قولُه ﷺ للأعرابيِّ : (فمَنْ أَعدى الأوَّلَ ؟) .

فقد لَفَتَ النبيُّ ﷺ نظرَ الأعرابيِّ بهذا القولِ الكريمِ إلى المُسَبِّبِ الأولِ : ألا وهو اللهُ ﷻ ، ولم يُنكر عليهِ قولَهُ :"ما بالُ الإبلِ تكونُ في الرملِ كأنها الظباءُ فيخالطُها الأجرب فيُجربُها" ، بل إنهُ ﷺ أقرَّهُ على هذا الذي كانَ يُشاهدُهُ ، وإنما أنكرَ عليهِ : وقوفَهُ عندَ هذا الظاهرِ فقط ، بقولِهِ لهُ : (فمَنْ أَعدى الأوَّلَ ؟) .

وجُملةُ القولِ : أنَّ الحديثينِ : يُثْبِتانِ العَدوى ، وهي ثابتةٌ تجربةً ومُشاهدةً.

والأحاديثُ الأُخرى : لا تنفيها ، وإنما تنفي عَدوى مقرونةً بالغفلةِ عَنِ اللهِ تعالى الخالِقِ لها.

وما أشبَهَ اليومَ بالبارحةِ ! فإنَّ الأطباءَ الأوربيينَ في أشدِّ الغفلةِ عنهُ تعالى ؛ لشركِهم وضلالِهم ، وإيمانِهم بالعدوى على الطريقةِ الجاهليةِ ، فلهؤلاءِ يُقال : (فمَنْ أَعدى الأوَّلَ ؟) .

فأما المؤمنُ الغافلُ عَن الأخذِ بالأسبابِ ، فهو يُذَكَّر بِها ، ويُقال لهُ كما في حديثِ الترجمةِ : (لَا يُورَدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ) ؛ أخذًا بالأسبابِ التي خلقها اللهُ تعالى ، وكما في بعضِ الأحاديثِ المتقدمةِ : (وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ ؛ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ) .

هذا هو الذي يظهرُ لي مِن الجمعِ بينَ هذهِ الأخبارِ ، وقد قِيل : غيرُ ذلك مما هو مذكورٌ في "الفتح" ، وغيرِه . واللهُ أعلمُ" .

"سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٢/٦٦٠).

قَالَ الإِمَامُ البَغَوِيُّ :

"وَقَوْلُهُ : (فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ) : لَعَلَّهُ عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : (لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ) ، وَقِيلَ : هُوَ رُخْصَةٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَجْتَنِبَ عَنْهُ ، كَقَوْلِهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ : (إِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ ؛ فَلا تُقَدِّمُوا عَلَيْهِ) ، فَمَنْ لَمْ يَحْتَرِزْ عَنْهُ مُتَوَكِّلاً ؛ فَحَسَنٌ ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ ﷺ ، (أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَوَضَعَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ) .

وَقِيلَ : إِنَّ الْجُذَامَ : عِلَّةٌ لَهَا رَائِحَةٌ ؛ تُسْقِمُ مَنْ أَطَالَ مُجَالَسَةِ صَاحِبِهَا ، وَمُؤَاكَلَتِهِ ، لاشْتِمَامِ تِلْكَ الرَّائِحَةِ ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ تُضَاجِعُ الْمَجْذُومَ فِي شِعَارٍ وَاحِدٍ ، فَرُبَّمَا تُجْذَمُ مِنَ الأَذَى الَّذِي يُصِيبُهَا ، وَقَدْ يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي النَّسْلِ .

وَكَذَلِكَ الْبَعِيرُ الجَرِبُ يُخَالِطُ الإِبِلَ وَيُحَاكُّهَا ، فَيَصِلُ إِلَيْهَا بَعْضُ مَا يَسِيلُ مِنْ جَرَبِهِ ، فَيَظْهَرُ عَلَيْهَا أَثَرٌ .

وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْعَدْوَى ، بَلْ هَذَا مِنْ بَابِ الطِّبِّ .

كَمَا أَنَّ : أَكْلَ مَا يُعَافِهِ الإِنْسَانُ ، وَاشْتِمَامَ مَا يَكْرَهُ رِيحَهُ ، وَالْمَقَامَ فِي بَلَدٍ لَا يُوَافِقُ هَوَاهُ طَبْعُهُ ؛ يَضُرُّهُ ، وَمَا يُوَافِقُهُ ؛ يَنْفَعُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾". [الْبَقَرَة : ١٠٢] .

"شرح السنة" (١٢/١٧١) .

ومِنْ أقْوَالِ السَّلَفِ أيضًا فِي الْمَرَضِ الْمُعْدِي كَالْجُذَامِ إذَا اسْتَضَرَّ النَّاسُ بِأَهْلِهِ :

قال أبو الوليدِ الباجيّ : "قَالَ أَصْبَغُ – ابنُ الفرج– :

"لَيْسَ عَلَى مَرْضَى الْحَوَاضِرِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إلَى نَاحِيَةٍ ، وَلَكِنْ إنْ أَجْرَى عَلَيْهِم الْإِمَامُ مِنْ الرِّزْقِ مَا يَكْفِيهِمْ ؛ مُنِعُوا مِنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ بِلُزُومِ بُيُوتِهِمْ ، أَوْ بِالسَّجْنِ إنْ شَاءَ" .

وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ – عبدُ الملك أبو مروان– ، **وَابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ** :

"يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالسَّجْنِ إذَا كَثُرُوا ؛ أَحَبُّ إلَيَّ ، وَهَذَا الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ".

وَيُمْنَعُ الْمَجْذُومُ مِنْ الْمَسْجِدِ ، وَلَا يُمْنَعُ مِنْ الْجُمُعَةِ ، وَلَا يُمْنَعُ مِنْ غَيْرِهَا . قَالَهُ : مُطَرِّفٌ ، وَابْنُ الْمَاجِشُونِ" .

"المنتقى شرح الموطأ" (٧/٢٦٦) .

قَالَ ابنُ القيم : "**قَالَ عِيسَى** – ابْنُ دِينَارٍ– :

"يُمْنَعُونَ اسْتِقَاؤُهُمْ مِنْ مَائِهِمْ ، وَوُرُودُهُمْ الْمَوْرِدَ لِلْوُضُوءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَيَجْعَلُونَ لِأَنْفُسِهِمْ صَحِيحًا يَسْتَقِي لَهُمْ الْمَاءَ فِي آنِيَةٍ ، ثُمَّ يَفْرُغُهَا فِي آنِيَتِهِمْ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**لَا ضَرَرَ ، وَلَا ضِرَارَ**) ، وَذَلِكَ ضَرَرٌ بِالْأَصِحَّاءِ ، فَأَرَى أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ؛ لِلضَّرَرِ" .

قُلْتُ – ابنُ القيم – : يَشْهَدُ لِهَذَا : الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ مِينَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**لَا عَدْوَى ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ ، وَفِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ ؛ فِرَارَكَ مِنْ الْأَسَدِ**) ، أَوْ قَالَ : (**مِنْ الْأَسْوَدِ**) .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" مِنْ حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : "كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ : (**إِنَّا بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ**)" .

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ : (لَا تُدِيمُوا النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُومِينَ) ، فَائِدَةٌ طِبِّيَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَهِيَ :

أَنَّ الطَّبِيعَةَ نَقَّالَةٌ ، فَإِذَا أَدَامَ النَّظَرَ إِلَى الْمَجْذُومِ ؛ خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يُصِيبَهُ ذَلِكَ بِنَقْلِ الطَّبِيعَةِ" . انتهى .

"الطرق الحكمية" (ص ٢٦٢-٢٦٤) ط. الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧هـ ، وبتحقيق محمد حامد الفقي (ص ٢٨٤-٢٨٦) ط. السنة المحمدية – القاهرة ، سنة ١٣٧٢هـ .

قال القاضي عِياض :

"قالوا : وكذلك يُمنعُ – الْمَجْذُومُ – مِن المسجدِ واختلاطِ الناسِ.

واختلفوا هل يُؤمَرونَ إذا كثروا بأن يتخذوا لأنفسِهم موضعًا خارجًا عَن الناسِ ؛ وهو الذى عليهِ أكثرُ الناسِ .

ولا يُمنعونَ مِن الجمعةِ ، ويُمنعون مِن غيرِها" .

"إكمال المعلم" (١٦٤/٧) .

قالَ الألبانيُّ :

"يجوزُ منعُ المجذومِ ، لا لِعِلّةِ الرائحةِ ؛ بل لأنَّ داءَهُ يُعدي ، فيضرّ المصلي ، وهو مأمورٌ بالابتعادِ عنهُ بقوله ﷺ : (فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ ؛ فِرَارَك مِنْ الْأَسَدِ) .

ولما كانَ تطبيقُ هذا الأمرِ يستلزِمُ : ابتعادَ المصلينَ جميعًا أو بعضِهم عَن المسجدِ ، وتعطيلِ صلاةِ الجماعةِ أو تقليلِها ؛ ولا يَخفى ما في ذلكَ مِن المخالَفةِ .

لذلكَ يَقتضي أن يُمنعَ المجذومُ مِن هذه الوِجهةِ ، ويُلحَقُ بهِ كلُّ مَن بهِ داءٌ مُعْدٍ. واللهُ أعلمُ" .

"الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب" (٢/٦٦٣) الحاشية .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الباجي على الحديثينِ :

(لَا عَدْوَى ..) و (لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ) :

"اَلَّذِي عِنْدِي فِي مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ : (لَا عَدْوَى) :

إِنَّمَا نَفَى بِهِ أَنْ يَكُونَ لِمُجَاوَرَةِ الْمَرِيضِ تَأْثِيرٌ فِي مَرَضِ الصَّحِيحِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ابْتِدَاءً ؛ كَمَا فَعَلَهُ فِي الْأَوَّلِ ابْتِدَاءً ، وَأَنَّ قَوْلَهُ ﷺ : (لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ) : لَيْسَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى .

وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . لَكِنَّهُ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : الْمَنْعُ مِنْ ذَلِكَ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ الْأَذَى عَلَى ظَاهِرِ الْحَدِيثِ ، وَهَذَا الَّذِي يَذْهَبُ إلَيْهِ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى .

وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ الْبَارِئُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؛ قَدْ أَجْرَى الْعَادَةَ بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْبَارِئُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْخَالِقُ لِلْمَرَضِ وَالصِّحَّةِ ، فَنَفَى بِقَوْلِهِ ﷺ : (لَا عَدْوَى) ؛ اعْتِقَادَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّهُ مُتَوَلِّدٌ مِنْ مُجَاوَرَةِ الْمَرِيضِ الصَّحِيحَ ، وَلَيْسَ هَذَا بِوَاضِحٍ ؛ لِأَنَّا لَا نَجِدُ ذَلِكَ جَارِيًا عَلَى عَادَةٍ فَقَدْ يُجَاوِرُ الْمَرِيضُ الصَّحِيحَ فَلَا يَمْرَضُ" .

"المنتقى شرح الموطأ" (٧/٢٦٥) .

قالَ جامِعُهُ :

من أرادَ البسطَ فليراجِعْ "شرح البخاري" لابن بطال (٩/٤١٠) وما بعدَها .

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُحَيْرِ بْنِ رَيْسَانَ ، أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ مِنْ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ أَرْضًا عِنْدَنَا ، يُقَالُ لَهَا : "أَبْيَنُ" . وَهِيَ أَرْضُ رِيفِنَا وَمِيرَتِنَا ، وَهِيَ "وَبِيئَةٌ" ، أَوْ قَالَ : "وَبَاؤُهَا شَدِيدٌ" .

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (**دَعْهَا عَنْكَ ؛ فَإِنَّ مِنَ الْقَرَفِ ؛ التَّلَفُ**) .

ضعيف : رواه عبد الرزاق في "المصنف" (١١/١٤٨/٢٠١٦٢) ، وأحمد (٣/٤٥١) ، وأبو داود (٣٩٢٣) ، والبيهقي في "الكبرى" (٩/٣٤٧) و"الشعب" (٢/١٢٤/١٣٦٥) ، والبغوي في "شرح السنة" (٥/٢٥٥) .

ضعفه الذهبي في "إتحاف الخيرة" (٤/٤٠٦/٣٨٣٩) .

وضعفه الألباني . انظر : "الضعيفة" (١٧٢٠) .

ومعَ كونِهِ ضعيف الإسنادِ ؛ إلا إنّ حديثَ "النهي عنِ الدخولِ إلى الأرضِ التي وقعَ بها الطاعونُ" الذي سبقَ مَعنا ، وحديثَ "العُرَنيين" ؛ يشهدان لمعناهُ .

فحديثُ العُرَنيين :

عَنْ أَنَسٍ ﷺ : "أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ اجْتَوَوْا [اسْتَوْخَمُوا] المَدِينَةَ ،

﴿ **فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَوْدٍ وَبِرَاعٍ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا** ﴾ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى كَانُوا نَاحِيَةَ الحَرَّةِ .." .

صحيح : رواه عبد الرزاق في "المصنف" (١٠/١٠٦/١٨٥٣٨) ، وأحمد (٣/١٦٣، ١٧٠، ٢٣٣، ٢٩٠) ، والبخاري (١٤٣٠، ٤١٩٢، ٣٩٥٦، ٥٣٦٢، ٥٣٩٥) ، والنسائي (٣٠٥، وابن حبان (٤٤٦٧) ، والبيهقي في "الكبرى" (١٠/٤) .

صححه الألباني .

التعليقُ

قالَ البيهقيُّ عقبَ حديثِ : (مِنَ الْقَرَفِ ؛ التَّلَفُ) :

"قَالَ الْقُتَيْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : "الْقَرَفُ مُدَانَاةُ الْوَبَاءِ" .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ : "وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ : الْعَدْوَى ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ : الطِّبِّ ، فَإِنَّ اسْتِصْلَاحَ الْأَهْوِيَةِ ؛ مِنْ أَعْوَنِ الْأَشْيَاءِ عَلَى صِحَّةِ الْأَبْدَانِ .

وَفَسَادُ الْأَهْوِيَةِ ؛ مِنْ أَضَرِّهَا ، وَأَسْرَعِهَا إِلَى إِسْقَامِ الْبَدَنِ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ" .

"السنن الكبرى" (٩/٣٤٧) و "شعب الإيمان" (٢/١٢٤) .

الصبرُ والاحتِساب على الطّاعُونِ وغيرِه مِنَ الأوبِئَةِ والبَلايا

عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، **إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ ، شَكَرَ ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ ، صَبَرَ ؛ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**) .

صحيح : رواه ابن أبي شيبة في "المسند" (٤٧٩/٣٢١/١) ، وأحمد (٣٣٣/٤ و ١٦/٦) ، ومسلم (٢٩٩٩)، وابن حبان (٢٨٩٦)، والطبراني (٣٨٤٩/١٥٣/٤)، والبيهقي في "الشعب" (١١٦/٤) .

صححه الألباني . انظر : "أحكام الجنائز" (ص ٣) ، و "صحيح الجامع" (٣٩٨٠) ، و "صحيح الترغيب" (٣٣٩٨) .

الحَذرُ مِنَ الفِرارِ والهَرَبِ مِنَ الطاعُونِ والوباءِ على اعتقادِ الجاهِليةِ

عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ قَيْسٍ الْعَدَوِيَّةِ ، قَالَتْ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، عَنِ الْفِرَارِ ، مِنَ الطَّاعُونِ ، فَقَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(الْفِرَارُ [الْفَارُّ] مِنَ الطَّاعُونِ ؛ كَالْفِرَارِ [كَالْفَارِّ] مِنَ الزَّحْفِ) .

رواه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٤٩٠/٨) ، وإسحاق بن راهويه في "المسند" (١٤٠٣، ١٧٠٩) ، وأحمد (٨٢/٦، ٢٥٥) ، والباغندي في "أماليه" (٦٦) ، والدولابي في "الكنى والأسماء" (١٨١٦/١٠٣٤/٣) ، وابن الأعرابي في "المعجم" (٢٤٥٦/١١٣٩/٣) .

ومن حديث مُعَاذَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ الْعَدَوِيَّةِ ، قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها ، فَقَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(لَا تَفْنَى أُمَّتِي ؛ إِلَّا [فَنَاءُ أُمَّتِي] بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ ، وَالْفَارُّ مِنْهَا ؛ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ) .

حسنٌ : رواه أحمد (١٤٥/٦، ٢٥٥) ، وأبو يعلي في "المسند" (٤٤٠٨).

ومِن حديثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنهما ، بلفظِ :

(الْفَارُّ مِنَ الطَّاعُونِ ؛ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ) .

حسنٌ لغيره : رواه أحمد (٣/٣٦٠،٣٢٤) ، وعبد بن حميد في "المسند" (١١١٨) ، والطبراني في "الأوسط" (٣١٩٣، ٨٩٨٠) .

قال الهيثمي في "المجمع" (٣١٥/٢) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالْبَزَّارُ ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ" .

وَعَنْ خَالِدٍ الرَّبَعِيِّ ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :
(إِنَّ الْفَارَّ مِنْهُ – أي: الطَّاعُونِ– ؛ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ) .

رواه ابن راهويه في "المسند" (١٣٧٦) .

انظر ما سبق : "الإرواء" (١٦٣٨) ، و"الصحيحة" (١٢٩٢، ١٩٢٨) ، و "صحيح الجامع" (٣٩٤٦، ٣٩٤٨،٤٢٧٦، ٤٢٧٧، ٤٢٨٢) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٠٨) .

عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُمَيْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ شُرَحْبِيلَ بْنَ شُفْعَةَ ، يُحَدِّثُ

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : إِنَّ الطَّاعُونَ وَقَعَ بِالشَّامِ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ :

"إِنَّهُ رِجْسٌ ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ" .

وَقَالَ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ﷺ : "إِنِّي قَدْ صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَمْرٌو أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ [جَمَلِ] أَهْلِهِ ، وَرُبَّمَا قَالَ شُعْبَةُ : أَضَلُّ مِنْ بَعِيرِ أَهْلِهِ ، وَأَنَّهُ قَالَ :

"إِنَّهَا رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ فَاجْتَمِعُوا لَهُ ، وَلَا تَفَرَّقُوا عَلَيْهِ" .

قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ﷺ ، فَقَالَ : "صَدَقَ" .

صحيح : رواه عبد الرزاق في "المصنف" (١١/١٤٩/٢٠١٦٤) ، وأحمد (٤/١٩٦) ، والبزار "البحر الزخار" (٧/١١٤/٢٦٧١) ، والطحاوي في "المعاني" (٤/٣٠٦) ، وابن حبان (٢٩٥١) ، والطبراني في "الكبير" (٧/ ٣٦٥/٧٢١٠) ، وابن عبد البر في "التمهيد" (٨/ ٣٧٢) .

تنبيهٌ : شرحبيل بنُ شُفعة ؛ هو : الرحبي ، وهُو الراوي عن شرحبيل بنِ حسنة ﷺ .

وَفي روايةٍ :

عَنْ أَبِي مُنِيبٍ ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ﷺ ، قَالَ فِي الطَّاعُونِ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَ النَّاسَ ، فَقَالَ : "إِنَّ هَذَا رِجْسٌ مِثْلُ السَّيْلِ ، مَنْ يَنْكُبْهُ ؛ أَخْطَأَهُ ، وَمِثْلُ النَّارِ مَنْ يَنْكُبْهَا ؛ أَخْطَأَتْهُ ، وَمَنْ أَقَامَ ؛ أَحْرَقَتْهُ ، وَآذَتْهُ .

فَقَالَ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ : "إِنَّ هَذَا رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَقَبْضُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ". رواه أحمد (١٩٦/٤) .

وفي روايةٍ :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ ، قَالَ : لَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِالشَّامِ ، خَطَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ النَّاسَ ﷺ ، فَقَالَ : "إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْسٌ ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَفِي هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ" .

فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ ، قَالَ : فَغَضِبَ فَجَاءَ وَهُوَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ مُعَلِّقٌ نَعْلَهُ بِيَدِهِ ، فَقَالَ : "صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ،

وَعَمْرٌو أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ ، وَلَكِنَّهُ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَوَفَاةُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ" .

رواه أحمد (٤/١٩٥) ، والبزار "البحر الزخار" (٧/١١٤/٢٦٧١) ، والطبراني في "الكبير" (٧/٣٦٥/٧٢٠٩) ، والبيهقي في "الشعب" عن قتادة (٧/٢٢٢/١٠٠٨٦) .

"**أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أوْ جَمَلِ أَهْلِهِ**" ؛ أَي : أسلمتُ لما كَانَ عَمْرو لَا يزَال فِي الشِّرْكِ .

وعَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : وَقَعَ طَاعُونٌ بِالشَّامِ فِي عَهْدِ عُمَرَ رضي الله عنه حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ لَا يَرْفَعُ إِلَيْهِ سَاقَيْهِ ، فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ أَمِيرٌ بِالشَّامِ يَوْمَئِذٍ ، فَقَالَ :

"تَفَرَّقُوا مِنْ هَذَا الرِّجْزِ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ ، وَهَذِهِ الْبَرِّيَّةِ" .

فَقَالَ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ : "بَلْ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَمَوْتَةُ الصَّالِحِينَ قِبَلَكُمْ ، لَقَدْ أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَإِنَّ هَذَا لَأَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ" .

رواه البيهقي في "الشعب" (٧/٢٢٢/١٠٠٨٦) .

وَعَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ ، عَنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ بْنِ عَمِيرَةَ الزُّبَيْدِيِّ ، أَنَّهُ : قَدِمَ مَعَ مُعَاذٍ مِنَ الْيَمَنِ ، فَمَكَثَ مَعَهُ فِي دَارِهِ ، وَفِي مَنْزِلِهِ ، فَأَصَابَهُمُ الطَّاعُونُ ، فَطُعِنَ مُعَاذٌ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ، وَأَبُو مَالِكٍ ؛ جَمِيعًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ حِينَ حَسَّ بِالطَّاعُونِ ؛ فَرَّ وَفَرِقَ فَرَقًا شَدِيدًا ، وَقَالَ :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! تَفَرَّقُوا فِي هَذِهِ الشِّعَابِ ، فَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَا أَرَاهُ إِلَّا رِجْزًا وَطَاعُونًا" .

فَقَالَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ : كَذَبْتَ .

قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِكِ .

فَقَالَ عَمْرٌو : صَدَقْتَ .

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ؛ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : كَذَبْتَ لَيْسَ بِالطَّاعُونِ ، وَلَا الرِّجْزِ ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ رَبِّكُمْ وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ ، وَقَبْضُ الصَّالِحِينَ ، اللَّهُمَّ فَأْتِ آلَ مُعَاذٍ النَّصِيبَ الْأَوْفَرَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ .

قَالَ : فَمَا أَمْسَى حَتَّى طُعِنَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُهُ ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ يُكَنَّى بِهِ ، فَرَجَعَ مُعَاذٌ مِنَ الْمَسْجِدِ ؛ فَوَجَدَهُ مَكْرُوبًا ، فَقَالَ :

يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ! كَيْفَ أَنْتَ ؟ فَاسْتَجَابَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَةِ !

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ .

فَقَالَ مُعَاذٌ : "وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَتَجِدُنِي مِنَ الصَّابِرِينَ" ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، وَدَفَنَهُ مِنَ الْغَدِ ، فَجَعَلَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يُرْسِلُ الْحَارِثَ بْنَ عَمِيرَةَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ يَسْأَلُهُ كَيْفَ هُوَ ؟

فَأَرَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ طَعْنَهُ بِكَفِّهِ ؛ فَبَكَى الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ ، وَفَرِقَ مِنْهَا حِينَ رَآهَا . فَأَقْسَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِاللَّهِ ! مَا يُحِبُّ أَنَّ لَهُ مَكَانَهَا حُمْرَ النَّعَمِ .

قَالَ : فَرَجَعَ الْحَارِثُ إِلَى مُعَاذٍ ؛ فَوَجَدَهُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَبَكَى الْحَارِثُ ، وَاسْتَبْكَى ، ثُمَّ إِنَّ مُعَاذًا ؛ أَفَاقَ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ الْحُمَيْرِيَّةِ ! لِمَ تَبْكِ عَلَيَّ ؟ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ .

فَقَالَ الْحَارِثُ : وَاللَّهِ مَا عَلَيْكَ أَبْكِي ، فَقَالَ مُعَاذٌ : فَعَلَامَ تَبْكِي ؟

قَالَ : أَبْكِي عَلَى مَا فَاتَنِي مِنْكَ الْعَصْرَيْنِ الْغُدُوِّ ، وَالرَّوَاحِ [وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي أُصِيبُ مِنْكَ] .

قَالَ مُعَاذٌ : أَجْلِسْنِي ، فَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ ، فَقَالَ : اسْمَعْ مِنِّي فَإِنِّي أُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ :

إِنَّ الَّذِي تَبْكِي عَلَيَّ مِنْ غُدُوِّكَ وَرَوَاحِكَ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ مَكَانَهُ بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ ، فَإِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ تَفْسِيرُهُ ؛ فَاطْلُبْهُ بَعْدِي عَنْ

ثَلَاثٍ [فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَالْتَمِسِ الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ] : عُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، أَوْ عِنْدَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، أَوْ عِنْدَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ [عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ] ، [فَإِنْ أَعْيَوْكَ فَالنَّاسُ أَعْيَى] ، وَأُحَذِّرُكَ زَلَّةَ الْعَالِمِ ، وَجِدَالَ الْمُنَافِقِ .

ثُمَّ إِنَّ مُعَاذًا اشْتَدَّ بِهِ النَّزْعُ - نَزْعُ الْمَوْتِ - ، فَنَزَعَ نَزْعًا لَمْ يَنْزِعْهُ أَحَدٌ ، فَكَانَ كُلَّمَا أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةٍ ؛ فَتَحَ طَرْفَهُ ، فَقَالَ : [رَبِّ] اخْنُقْنِي خَنْقَكَ ؛ فَوَعِزَّتِكَ ! إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ ، [قَالَ: ثُمَّ مَاتَ] [فَمَاتَ آلُ مُعَاذٍ إِنْسَانًا إِنْسَانًا حَتَّى كَانَ مُعَاذٌ آخِرَهُمْ]" .

رواه عبد الرزاق في "المصنف" (١١/١٤٩/٢٠١٦٤) ، وابن أبي شيبة في "المصنف" (١١/١٥-١٦/١٠٣٨٤) و "الإيمان" (٧٦) ، والبزار "البحر الزخار" (١١٤/٧) ، وأبو نُعيم في "حلية الأولياء" (١/٢٤٠) . السياق للبزار ، والزيادات لعبد الرزاق ؛ إلا ما قبل الأخيرتين ، فهي في "الحلية" ، والأخيرة لابن أبي شيبة .

قال الهيثمي في "المجمع" (٢/٣١٢) : " رَوَاهُ الْبَزَّارُ ، وَرَوَى أَحْمَدُ بَعْضَهُ وَفِي إِسْنَادِ الْبَزَّارِ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ وَفِيهِ كَلَامٌ ، وَقَدْ وَثَّقَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ طَرَفًا مِنْهُ" .

قالَ ابنُ عبدِ البر : رُوِينا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ :

"الطَّاعُونُ فِتْنَةٌ عَلَى الْمُقِيمِ وَالْفَارِّ .

أَمَّا الْفَارُّ ، فَيَقُولُ : "فَرَرْتُ ؛ فَنَجَوْتُ" .

وَأَمَّا الْمُقِيمُ ، فَيَقُولُ : "أَقَمْتُ ؛ فَمِتُّ" . وَكَذَبَا .

فَرَّ : مَنْ لَمْ يَجِيءْ أَجَلُهُ ، وَأَقَامَ : مَنْ جَاءَ أَجَلُهُ" .

"التمهيد" (٣٧٢/٨) .

انظر بعض ما سبق : "التعليقات الحسان" (٢٩٤٠) ، و "صَحِيح التَّرْغِيبِ" (١٤٠٢) .

مُناقَشةٌ وتَعلِيقٌ

قال الطحاويُّ :

"قَالُوا : فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذِهِ الْآثَارِ : أَنْ لَا يُقْدَمَ عَلَى الطَّاعُونِ ، وَذَلِكَ لِلْخَوْفِ مِنْهُ .

قِيلَ لَهُمْ : مَا فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ أَمَرَهُ بِتَرْكِ الْقُدُومِ لِلْخَوْفِ مِنْهُ ؛ لَكَانَ يُطْلِقُ لِأَهْلِ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ أَيْضًا الْخُرُوجَ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ ؛ كَالْخَوْفِ عَلَى غَيْرِهِمْ .

فَلَمَّا مَنَعَ أَهْلَ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الطَّاعُونُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهُ ؛ ثَبَتَ أَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ مَنَعَهُمْ مِنَ الْقُدُومِ ، غَيْرُ الْمَعْنَى الَّذِي ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَمَا مَعْنَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ؟

قِيلَ لَهُ : هُوَ عِنْدَنَا ، وَاللهُ أَعْلَمُ :

عَلَى أَنْ لَا يَقْدُمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ ، فَيُصِيبَهُ بِتَقْدِيرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ أَنْ يُصِيبَهُ ، فَيَقُولَ : لَوْلَا أَنِّي قَدُمْتُ هَذِهِ الْأَرْضَ ، مَا أَصَابَنِي هَذَا الْوَجَعُ ، وَلَعَلَّهُ لَوْ أَقَامَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ ؛ لَأَصَابَهُ ، فَأُمِرَ أَنْ لَا يَقْدُمَهَا ، خَوْفًا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ .

وَكَذَلِكَ أُمِرَ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا ؛ لِئَلَّا يَسْلَمَ ، فَيَقُولَ لَوْ أَقَمْتُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ ؛ لَأَصَابَنِي مَا أَصَابَ أَهْلَهَا ، وَلَعَلَّهُ لَوْ كَانَ أَقَامَ بِهَا ؛ مَا أَصَابَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ .

فَأُمِرَ بِتَرْكِ الْقُدُومِ عَلَى الطَّاعُونِ ، لِلْمَعْنَى الَّذِي وَصَفْنَا ، وَبِتَرْكِ الْخُرُوجِ عَنْهُ ، لِلْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَا.

وَكَذَلِكَ مَا رَوَيْنَا عَنْهُ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ ، مِنْ قَوْلِهِ :

(لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ) فَيُصِيبُ الْمُصِحَّ ذَلِكَ الْمَرَضُ ، فَيَقُولُ الَّذِي أَوْرَدَهُ عَلَيْهِ : لَوْ أَنِّي لَمْ أُورِدْهُ عَلَيْهِ ، لَمْ يُصِبْهُ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ شَيْءٌ .

وَلَعَلَّهُ لَوْ لَمْ يُورِدْهُ أَيْضًا ؛ لَأَصَابَهُ كَمَا أَصَابَهُ لَمَّا أَوْرَدَهُ .

فَأُمِرَ بِتَرْكِ إِيرَادِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ ، عَلَى مَا هُوَ مَرِيضٌ ، لِهَذِهِ الْعِلَّةِ الَّتِي لَا يُؤْمَنُ عَلَى النَّاسِ وُقُوعُهَا فِي قُلُوبِهِمْ وَقَوْلِهِمْ ، مَا ذَكَرْنَا بِأَلْسِنَتِهِمْ" .

الطحاوي "شرح معاني الآثار" (٤/٣٠٦) .

وقال الطحاويُّ أيضًا :

"مَعْنَى مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الطَّاعُونِ ، فِي نَهْيِهِ عَنِ الْهُبُوطِ عَلَيْهِ ، وَفِي نَهْيِهِ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْهُ .

وَأَنَّ نَهْيَهُ عَنِ الْهُبُوطِ عَلَيْهِ : خَوْفًا أَنْ يَكُونَ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ إِذَا هَبَطُوا عَلَيْهِ ؛ أَصَابَهُمْ ، فَيَهْبِطُونَ ؛ فَيُصِيبُهُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَصَابَنَا ؛ لِأَنَّا هَبَطْنَا عَلَيْهِ ، وَلَوْلَا أَنَّا هَبَطْنَا عَلَيْهِ ؛ لَمَا أَصَابَنَا .

وَأَنَّ نَهْيَهُ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْهُ : لِئَلَّا يَخْرُجَ ؛ فَيَسْلَمَ ، فَيَقُولُ : سَلِمْتُ ؛ لِأَنِّي خَرَجْتُ ، وَلَوْلَا أَنِّي خَرَجْتُ ؛ لَمْ أَسْلَمْ .

فَلَمَّا كَانَ النَّهْيُ عَنِ الْخُرُوجِ عَنِ الطَّاعُونِ ، وَعَنِ الْهُبُوطِ عَلَيْهِ ، بِمَعْنًى وَاحِدٍ ، وَهُوَ "الطِّيَرَةُ" ، لَا "الْإِعْدَاءُ" ؛ كَانَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ : (لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ) هُوَ "الطِّيَرَةُ" أَيْضًا ، لَا "الْإِعْدَاءُ" .

فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذِهِ كُلِّهَا ، عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَتَطَيَّرُونَ .

وَفِي حَدِيثِ أُسَامَةَ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ :

(وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَهُوَ بِهَا ، فَلَا يُخْرِجُهُ الْفِرَارُ مِنْهُ) ؛ دَلِيلٌ : عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا ، لَا عَنِ الْفِرَارِ مِنْهُ" .

"شرح معاني الآثار" (٤/٣١٠) .

قال النوويُّ على حديثِ :

(فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ ؛ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ؛ فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ) :

"النَّهْي عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَنْهَ عَنِ الدُّخُولِ عَلَيْهِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَهُ غَيْرُ الْمُقَدَّرِ ، لَكِنْ مَخَافَةَ : الْفِتْنَةِ عَلَى النَّاسِ ؛ لِئَلَّا يَظُنُّوا أَنَّ هَلَاكَ الْقَادِمِ : إِنَّمَا حَصَلَ بِقُدُومِهِ .

وَسَلَامَةِ الْفَارِّ : إِنَّمَا كانت بِفِرَارِهِ .

قَالُوا : وَهُوَ مِنْ نَحْوِ : "النَّهْيِ عَنِ الطِّيَرَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ الْمَجْذُومِ" .

وَقَدْ جَاءَ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : "الطَّاعُونُ فِتْنَةٌ عَلَى الْمُقِيمِ وَالْفَارِّ .

أَمَّا الْفَارُّ ، فَيَقُولُ : فَرَرْتُ ؛ فَنَجَوْتُ ، وَأَمَّا الْمُقِيمُ ، فيقولُ : أقمتُ ؛ فمتُّ ، وإنما فَرَّ مَنْ لم يأْتِ أَجَلُهُ ، وَأَقَامَ مَنْ حَضَرَ أَجَلُهُ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : الِاحْتِرَازُ مِنَ الْمَكَارِهِ وَأَسْبَابِهَا .

وَفِيهِ : التَّسْلِيمُ لِقَضَاءِ اللَّهِ عِنْدَ حُلُولِ الْآفَاتِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

"شرح مسلم" (١٤/٢٠٦-٢٠٧) .

قالَ جامِعُهُ :

هذا المعنى الذي ذَكَرَهُ الإمامان الطحاويُّ والنوويُّ رحمهما اللهُ تعالى ؛ محترمٌ جدًا ، ومُقتَبسٌ مِن أثرِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه السابقِ الذي رواهُ ابنُ عبدِ البرِّ .

التَّوَكُّل عَلى اللهِ ﷻ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ **أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ ، فَوَضَعَهَا مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ** ، وَقَالَ :

(**كُلْ [بِسْمِ اللَّهِ] ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ**) .

رواه ابن أبي شيبة في "الأدب" (١٦٥) ، وعبد ابن حميد في "المنتخب من المسند" (١٠٩٢) ، وأبو داود (٣٩٢٥) ، وابن ماجه (٣٥٤٢) ، والترمذي (١٨١٧) ، وأبو يعلى في "المسند" (١٨٢٢/٣٠٤/٣) ، والطحاوي في "المعاني" (٣٠٩/٤) ، وابن حبان (٦١٢٠) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٤٦٣)، والحاكم (١٣٦/٤-١٣٧) ، والبيهقي في "الكبرى" (٢١٩/٧) و "الآداب" (٣٥١) و "الشعب" (١٢٢/٢) ، والبغوي في "شرح السنة" (٣٢٥٠/١٧٢/١٢) . وصححه ، ووافقه الذهبي .

ضعفه الألباني . انظر : "الضعيفة" (١١٤٤) ، "ضعيف الجامع" (٤١٩٥) .

عَنْ نَافِعِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ جَدَّتِهِ فُطَيْمَةَ ، قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَسَأَلْتُهَا : أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْمَجْذُومِينَ : "فِرُّوا مِنْهُمْ كَفِرَارِكُمْ مِنَ الْأَسَدِ ؟" .

فَقَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ :

"كَلَّا وَلَكِنَّهُ ، قَالَ : (لَا عَدْوَى ، فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ ؟) .

وَقَدْ كَانَ مَوْلًى لِي ، يَأْكُلُ فِي صِحَافِي ، وَيَشْرَبُ فِي أَقْدَاحِي ، وَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِي ، أَصَابَهُ ذَلِكَ الدَّاءُ ، فَلَوْ أَقَامَ مَعِي ؛ عَايَشْتُهُ مَا عَاشَ ، وَلَكِنَّهُ سَأَلَنِي أَنْ أُجَهِّزَهُ إِلَى الْغَزْوِ ؛ فَجَهَّزْتُهُ ، وَغَزَا" .

رواه الطبري في "تهذيب الآثار – مسند علي" (٣/٣٠/٨٣) .

قالَ جامِعُهُ :

رأيتُ أهلَ العلمِ كأنهم تلقوهُ بالقَبولِ ؛ وذلك بنقلِهم لهُ وذِكْرِهم له في كُتبهِم "شروحاتِ الأحاديثِ" خاصةً ؛ كشروحاتِ "الصحيحين" ، و "السنن" ، وغيرها .

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ في "الآداب" **تحتَ هذا الحديثِ** :

"وَفِي هَذَا قَطْعُ الْعَلَائِقِ وَالْأَسْبَابِ . وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ عِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ إِنْ شَاءَ حَفِظَهُ مِنَ الْإِعْدَاءِ مَعَ الْمُخَالَطَةِ ، كَمَا يَبْتَلِي بِهِ مَنْ أَرَادَ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ إِعْدَاءٍ .

وَاسْتِعْمَالُ الْأَسْبَابِ وَمُرَاعَاتُهَا ؛ مُرَخَّصٌ فِيهَا إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَهُوَ النَّافِعُ وَهُوَ الضَّارُّ ، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ" .

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ في "الشعب" **أيضًا** :

"وَهَذَا الْحَدِيثُ مَعَ مَا رُوِيَ عَنْهُ مِن "الْفِرَارِ مِنَ الْمَجْذُومِ" ، "وَأَمْرِ الْمَجْذُومِ الَّذِي أَتَاهُ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ بِالرُّجُوعِ" ؛ يُؤَكِّدُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ .

فَيَكُونُ هَذَا الْحَدِيثُ فِيمَنْ : يَكُونُ حَالُهُ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، وَتَرْكَ الِاخْتِيَارِ فِي مَوَارِدِ الْقَضَاءِ .

وَالْحَدِيثُ الْآخَرُ فِيمَنْ : يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ الْعَجْزَ عَنِ احْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ ، فَيَحْتَرِزُ بِمَا هُوَ جَائِزٌ فِي الشَّرْعِ بِأَنْوَاعِ الِاحْتِرَازَاتِ. وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ".

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ أيضًا :

"ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : (لَا عَدْوَى ..) :

أَرَادَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :

مِنْ إِضَافَةِ الْفِعْلِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ بِمَشِيئَتِهِ مُخَالَطَةَ الصَّحِيحِ مَنْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْعُيُوبِ ؛ سَبَبًا لِحُدُوثِ ذَلِكَ به .

وَلِهَذَا قَالَ ﷺ : (لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ) ، وَقَالَ فِي الطَّاعُونِ : (مَنْ سَمِعَ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا يَقْدِمَنَّ عَلَيْهِ) ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا فِي مَعْنَاهُ – (فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ) – ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَا عَدْوَى ..) ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ ، فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا ؛ فَيُجْرِبُهَا . قَالَ : (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ ؟) . هَذَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْإِعْدَاءِ إِضَافَةَ الْفِعْلِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ ، أَلَا تَرَاهُ أَجَابَ بِأَنْ قَالَ : (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ ؟) ؛ يَعْنِي : الَّذِي أَعْدَى الْأَوَّلَ ؛ هُوَ الَّذِي جَعَلَ مُخَالَطَةَ الْأَجْرَبِ غَيْرَ الْأَجْرَبِ ؛ سَبَبًا لِجَرَبِهِ ، فَالْفِعْلُ لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ جَمِيعًا ، وَقَدْ تَكُونُ الْمُخَالَطَةُ لَهُ سَبَبًا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : (لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ)" .

انتهى . "معرفة السنن والآثار" (١٠/١٨٩-١٩٠) ، و "الآداب" (ص ١٤٤) .

قال ابنُ حجرٍ في "الفتح" (١٠/١٦١) بعد أنْ نقلَ كلامَ البيهقيِّ :

"وَتَبعهُ على ذَلِك ابنُ الصَّلَاحِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، وَمَنْ بَعْدَهُ ، وَطَائِفَةٌ مِمَّنْ قَبْلَهُ".

قَالَ القَاضي عِيَاضٌ :

"اخْتَلَفَتِ الْآثَارُ فِي الْمَجْذُومِ فَجَاءَ مَا تَقَدَّمَ عَنْ جَابِرٍ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ مَعَ مَجْذُومٍ وَقَالَ : (ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ) ، فَذَهَبَ عُمَرُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ إِلَى : الْأَكْلِ مَعَهُ ، وَرَأَوْا أَنَّ الْأَمْرَ بِاجْتِنَابِهِ مَنْسُوخٌ .

وَمِمَّنْ قَالَ بِذَلِكَ : عِيسَى بْنُ دِينَارٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ .

وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ وَيَتَعَيَّنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ : أَنْ لَا نَسْخَ ، بَلْ يَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ .

وَحَمْلُ الْأَمْرِ بِاجْتِنَابِهِ وَالْفِرَارُ مِنْهُ : عَلَى الِاسْتِحْبَابِ وَالِاحْتِيَاطِ لَا لِلْوُجُوبِ .

وَالْأَكْلُ مَعَهُ : عَلَى بَيَانِ الْجَوَازِ" .

نقله النووي في "شرح مسلم (٢٢٨/١٤) ، وابن حجر في "الفتح" (١٥٩/١٠) موافقين له ، كما نقلا كلام البيهقي كذلك .

"قَالُوا : وَالْأَخْبَارُ الدَّالَّةُ عَلَى الِاجْتِنَابِ أَكْثَرُ مَخَارِجَ ، وَأَكْثَرُ طُرُقًا ، فَالْمَصِيرُ إِلَيْهَا ؛ أَوْلَى .

قَالُوا : وَأَمَّا حَدِيثُ جَابِرٍ : "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ مَجْذُومٍ فَوَضَعَهَا فِي الْقَصْعَةِ" ، وَقَالَ : (كُلْ ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ) ؛ فَفِيهِ نَظَرٌ .

وَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَبَيَّنَ الِاخْتِلَافَ فِيهِ عَلَى رَاوِيهِ ، وَرَجَّحَ وَقْفَهُ عَلَى عُمَرَ .

وَعَلَى تَقْدِيرِ ثُبُوتِهِ ؛ فَلَيْسَ فِيهِ : أَنَّهُ ﷺ أَكَلَ مَعَهُ ، وَإِنَّمَا فِيهِ : أَنَّهُ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْقَصْعَةِ . قَالَهُ الْكَلَابَاذِيُّ فِي "مَعَانِي الْأَخْبَارِ"." .

"الفتح" (١٠/١٦٠) .

دُعاءُ بَعْضِ السَّلَفِ أنْ تُصيبَهُ رَحْمَةُ اللهِ بالبَلاءِ

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ : "اللهُمَّ أَدْخِلْ عَلَى آلِ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمْ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ". –يعني: مِن "الطاعونِ"– .

قَالَ : فَطُعِنَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ ؛ فَمَاتَتَا ، حَتَّى طُعِنَ لَهُ ابْنٌ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ . فَقَالَ :

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٠]

قَالَ :

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]

قَالَ : ثُمَّ مَاتَ ابْنُهُ ذَلِكَ فَدَفَنَهُ ، قَالَ : ثُمَّ طُعِنَ مُعَاذٌ ، فَجَعَلَ يُغْشَى عَلَيْهِ فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ : "رَبِّ غُمَّنِي غَمَّتَكَ ، فَوَعِزَّتِكَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ" .

قَالَ : ثُمَّ يُغْشَى عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ" .

رواه البيهقي في "الشعب" (١٠٠٨٦) .

وَعَنْ أَبِي مُنِيبٍ الْأَحْدَبِ الْجُرَشِيِّ ، قَالَ : خَطَبَ مُعَاذٌ رضي الله عنه بِالشَّامِ ، فَذَكَرَ الطَّاعُونَ ، فَقَالَ : ".. اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَلَى آلِ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمْ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ ، فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذٍ .

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ .

فَقَالَ مُعَاذٌ : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ .

رواه أحمد (٥/٢٤٠) ، والطبراني في "الكبير" (٢٠/١٢١/٢٤٣) ، والحاكم (٣/٣٧٦) .

قال الهيثمي في "المجمع" (٢/٣١١) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بَعْضَهُ فِي "الْكَبِيرِ" ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ ، وَإِسَنَادُهُ مُتَّصِلٌ" .

قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه وَهُوَ يَخْطُبُ :

"اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَى آلِ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمُ الْأَوْفَى مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ".

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ؛ إِذْ أُتِيَ ، فَقِيلَ : طُعِنَ ابْنُكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَلَمَّا أَنْ رَأَى أَبَاهُ مُعَاذًا ، قَالَ : يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : يَا أَبَتِ !

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[البقرة: ١٤٧].

قَالَ : يَقُولُ مُعَاذٌ :

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فَمَاتَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ آلُ مُعَاذٍ ؛ كُلُّهُمْ ، ثُمَّ كَانَ هُوَ آخِرَهُمْ" .

رواه الحاكم (٣/٣٧١) ، والبيهقي في "الشعب" (٧/٢٢١/١٠٠٨٣) .

عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَابِّهِ، - رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ كَانَ خَلَفَ عَلَى أُمِّهِ بَعْدَ أَبِيهِ كَانَ شَهِدَ طَاعُونَ عَمَوَاسَ — ، قَالَ : "لَمَّا اشْتَعَلَ الْوَجَعُ ، قَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي النَّاسِ خَطِيبًا ، فَقَالَ : " وَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ يَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ" .

قَالَ : فَطُعِنَ ؛ فَمَاتَ رَحِمَهُ اللّٰهُ" .

فَقَامَ خَطِيبًا بَعْدَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، فَقَالَ : :وَإِنَّ مُعَاذًا يَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَقْسِمَ لِآلِ مُعَاذٍ مِنْهُ حَظَّهُ" .

قَالَ : فَطُعِنَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاذٍ ؛ فَمَاتَ .

ثُمَّ قَامَ فَدَعَا رَبَّهُ لِنَفْسِهِ ، فَطُعِنَ فِي رَاحَتِهِ .

فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ يُقَبِّلُ ظَهْرَ كَفِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ :

"مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِمَا فِيكِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا".

رواه أحمد (١/١٩٦) ، والطبراني في "الكبير" (٢٠/١١٦/٢٣٠، ٣٣١)، والبيهقي في "الشعب" (٧/٢٢٢) .

قال الهيثمي في "المجمع" (٢/٣١٦) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَشَهْرٌ فِيهِ كَلَامٌ ، وَشَيْخُهُ لَمْ يُسَمَّ" .

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَوْرَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ وَجَعَ عَمَوَاسٍ ؛ كَانَ مُعَافًى مِنْهُ أَبُو عُبَيْدِ بْنِ الْجَرَّاحِ وَأَهْلُهُ ، فَقَالَ : "اللهُمَّ نَصِيبَكَ فِي آلِ أَبِي عُبَيْدَةَ" .

قَالَ : فَخَرَجَتْ بِأَبِي عُبَيْدَةَ فِي خَصْرِهِ : بَثْرَةٌ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا .

فَقِيلَ : "إِنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ" .

فَقَالَ : "إِنِّي أَرْجُو أَنْ يُبَارِكَ اللهُ فِيهَا ، فَإِنَّهُ إِذَا بَارَكَ فِي الْقَلِيلِ ؛ كَانَ كَثِيرًا".

رواه البيهقي في "الشعب" (٧/٢٢١/١٠٠٨٤) .

البَلاءُ يُكَفِّرُ الذُّنوبَ والخَطايا

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (مَا يُصِيبُ [الْمُؤْمِنَ] الْمُسْلِمَ مِنْ : نَصَبٍ ، وَلَا وَصَبٍ ، وَلَا هَمٍ [وَلَا سَقَمٍ] ، وَلَا حَزَنٍ ، وَلَا أَذًى ، وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا ؛ إِلَّا [كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ] كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) .

رواه أحمد (٢/٣٠٣ و ٣/٤٨) ، والبخاريُ (٥٣١٨) ، ومسلم (٢٥٧٣) —دون وَلَا أَذًى ، وَلَا غَمٍّ — والزيادتان الأخيرتان له ، والأولى لأحمد . وغيرهم .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ :

(إِذَا اشْتَكَى الْمُؤْمِنُ ؛ أَخْلَصَهُ اللَّهُ ؛ كَمَا يُخَلِّصُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ) .

صحيح : رواه البخاري في "الأدب المفرد" (٤٩٧) ، والبزار "البحر الزخار" (١٨/١٥٤) ، وابن حبان (٤٩٧) ، والطبراني في "الأوسط" (٤١٢٣) ، وفي "موارد الظمآن زوائد ابن حبان" (٦٩٥) . صححه الألباني . انظر: "الصحيحة" (١٢٥٧)

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ :

(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ ؛ وجعٍ أَوْ مَرَضٍ؛ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةَ ذُنُوبِهِ ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا ، أَوِ النَّكبةُ) .

صحيح : رواه البخاري في "الأدب المفرد" (٤٩٨) . صححه الألباني .

وفي لفظٍ : قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(مَا مِنْ : [مَرَضٍ] سَقَمٍ ، وَلَا وَجَعٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ ؛ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةٌ لِذَنْبِهِ ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا ، أَوِ النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا) .

صحيح : رواه أحمد (٦/٨٨، ١١٣، ١٢٠، ١٦٧) ، وأبو عوانة في "مستخرجه" (١١٢٢٤) ، ابن حبان (٢٩٢٥) ، والبغوي في "شرح السنة" (٥/٢٣٤/١٤٢٢) . صححه الألباني .

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

(وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ ؛ يُكَفَّرُ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ حَتَّى الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ) .

صحيح : رواه أحمد (٤٦/٦) ، وابن خزيمة في "صحيحه" (٨٤٩) ، وابن حبان (٧٣٧٢) ، والحاكم (٢٥٥/١ و ٢٤٩/٤-٢٥٠) ، والبيهقي في "الشعب" (٢٥٢/١) .

صححه الألباني . انظر : "صفة صلاة النبي ﷺ - الأصل" (١٠٠٨/٣) "الحاشية" ، و "ضعيف سنن أبي داود- المحقق" (٤٧٢/٢) .

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ - ابن وهب - ، قَالَ : "كُنتُ مَع سَلْمَانَ رضي الله عنه ، وعَاد مَريضاً فِي "كِندَةَ" ، فلمَّا دَخلَ عَليهِ ، قَال :

"أَبشِر ! فِإنَّ مَرضَ المؤْمِنِ ؛ يَجعَلُهُ اللَّهُ لَه كَفارةً" .

صحيح : رواه البخاري في "الأدب المفرد" (٤٩٣) . صححه الألباني .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ :

(لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي : جَسَدِهِ ، وَأَهْلِهِ ، وَمَالِهِ ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) .

حسنٌ : رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٢٣١/٣) ، وأحمد (٢٨٧/٢، ٤٥٠) ، والبخاري في "الأدب المفرد" (٤٩٤) ، والترمذي (٢٣٩٩) ، والبزار "البحر الزخار" (٧٩٩٨) ، وأبو يعلى في "المسند" (٥٩١٢، ٦٠١٢) ، وابن حبان (٢٩١٣، ٢٩٢٤) ، والبيهقي في "الآداب" (٧٣٦) و "الشُّعب" (٩٨٣٧/١٥٩/٧) و "الكبرى" (٣٧٤/٣) . وفي موارد الظمآن" (٦٩٧) .

قال الترمذي : "حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

وصححه الألباني . انظر : "الصحيحة" (٢٢٨٠) ، و "صحيح الجامع" (٥٨١٥) .

وَعَنْهُ ﷺ ، قَالَ : ذُكِرَتِ الْحُمَّى عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَسَبَّهَا رَجُلٌ ، فَقَالَ لَهُ : (**لَا تَسُبَّهَا ! فَإِنَّهَا تَنْفِي الذُّنُوبَ ؛ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**) .

صحيح لغيره : رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٢٣١/٣) ، وابن ماجه (٣٤٦٩) .

ويشهدُ لهُ الحديثُ :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيِّبِ .

فَقَالَ : (مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ تُزَفْزِفِينَ ؟) .

قَالَتْ : الْحُمَّى ، لَا بَارَكَ اللّٰهُ فِيهَا .

فَقَالَ : (**لَا تَسُبِّي الْحُمَّى ، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**) .

صحيح : رواه البخاري في "الأدب المفرد" (٥١٦) ، ومسلم (٢٥٧٥) ، وابن حبان (٢٩٣٨) ، وأبو يعلي في "المسند" (٢٠٨٣) ، والطبراني في "الدعاء" (٢٠٧٢) ، والبيهقي في "الكبرى" (٣/٣٧٧) و "الشعب" (٧/١٥٩) ، و "الآداب" (٧٣٧) .

صححه الألباني . انظر : "الصحيحة" (٧١٥ و ١٢١٥) ، و "صحيح الجامع" (٧٣٢٢) ، و "صحيح الترغيب" (٣٤٣٧) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَجَلْ ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ) .

فَقُلْتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**أَجَلْ**) .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى ، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ ؛ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ ؛ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**) .

رواه الطيالسي (٣٧٠) ، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٢٢٩/٣) ، وأحمد (٤٥٥/١) ، والبخاري (٥٦٤٨، ٥٦٦٠، ٥٦٦٧) ، ومسلم (٢٥٧١) . وغيرهم .

لا يَنفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ

قال ابنُ جريرٍ الطبريُّ : "في سنةِ ٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ : وقعَ الطاعونُ بالكوفةِ ، فهربَ المغيرةُ بنُ شُعبةَ مِنَ الطاعونِ ، فلمّا ارتفعَ الطاعونُ ، قِيلَ لهُ : لو رجعتَ إلى الكوفةِ ! فَقَدِمها ، فَطُعِن ؛ فماتَ" .

تاريخ الطبري" (٥/٢٣٢) .

نقلَ ابنُ حَجرٍ مُخبِرًا عَن أحدِ شُيوخِهِ ، وهُو : محمدُ بنُ أبي بكرٍ بن عبدِ العزيزِ بن محمدٍ – المعروفِ – بابنِ جُماعة ، قالَ : "وكانَ ينهى أصحابَهُ عَن دُخولِ الحمّامِ أيّامَ الطّاعونِ ، فقُدِّرَ أنَّ الطّاعونَ ارتفعَ أو كادَ ، فدَخَلَ هُو الحمّامَ ، وخَرَجَ ، فطُعن عَن قُربٍ ؛ وماتَ".

"إنباء الغمر بأبناء العمر" (٣/١١٧) ، و "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" (٩/٢٠٦) .

الإِشارةُ إِلى بَعْضِ مَا جَرى مِنَ الطاعُونِ في الإِسلامِ وقَبْلَهُ عَبْرَ التاريخ

أوَّلًا : حَوادِثُ الطاعونِ قبلَ الإِسلامِ

قَالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ ﴾ . [البقرة : ٢٤٣] .

روى الطبريُّ بسَندِهِ عَنِ السُّدِّيِّ ، قَالَ :

"كَانَتْ قَرْيَةٌ ، يُقَالُ لَهَا : "دَاوَرْدَانَ" قَبْلَ "وَاسِطٍ" ، وَقَعَ بِهَا الطَّاعُونُ ، فَهَرَبَ عَامَّةُ أَهْلِهَا ، فَنَزَلُوا نَاحِيَةً مِنْهَا، فَهَلَكَ مَنْ بَقِيَ فِي الْقَرْيَةِ وَسَلِمَ الْآخَرُونَ ، فَلَمْ يَمُتْ مِنْهُمْ كَبِيرٌ .

فَلَمَّا ارْتَفَعَ الطَّاعُونُ رَجَعُوا سَالِمِينَ ، فَقَالَ الَّذِينَ بَقُوا : أَصْحَابِنَا هَؤُلَاءِ كَانُوا أَحْزَمَ مِنَّا ، لَوْ صَنَعْنَا كَمَا صَنَعُوا بَقِينَا ، وَلَئِنْ

وَقَعَ الطَّاعُونُ ثَانِيَةً ؛ لَنَخْرُجَنَّ مَعَهُمْ فَوَقَعَ فِي قَابِلٍ فَهَرَبُوا ، وَهُمْ بَضْعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا ، حَتَّى نَزَلُوا ذَلِكَ الْمَكَانَ ، وَهُوَ وَادٍ أَفْيَحُ .

فَنَادَاهُمْ مَلَكٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي ، وَآخَرُ مِنْ أَعْلَاهُ : أَنْ مُوتُوا فَمَاتُوا ، حَتَّى إِذَا هَلَكُوا وَبَلِيَتْ أَجْسَادُهُمْ ، مَرَّ بِهِمْ نَبِيٌّ يُقَالُ لَهُ "حِزْقِيلُ" ؛ فَلَمَّا رَآهُمْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ ، فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِيهِمْ ، وَيَلْوِي شِدْقَيْهِ ، وَأَصَابِعَهُ .

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا حِزْقِيلُ ! أَتُرِيدُ أَنْ أُرِيَكَ فِيهِمْ كَيْفَ أُحْيِيهِمْ ؟

قَالَ : وَإِنَّمَا كَانَ تَفَكُّرُهُ : أَنَّهُ تَعَجَّبَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : نَعَمْ .

فَقِيلَ لَهُ : نَادِ فَنَادَى : يَا أَيَّتُهَا الْعِظَامُ ! إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَجْتَمِعِي ؛ فَجَعَلَتْ تَطِيرُ الْعِظَامُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى كَانَتْ أَجْسَادًا مِنْ عِظَامٍ .

ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ نَادِ يَا أَيَّتُهَا الْعِظَامُ ! إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَكْتَسِيَ لَحْمًا ؛ فَاكْتَسَتْ لَحْمًا ، وَدَمًا ، وَثِيَابَهَا الَّتِي مَاتَتْ فِيهَا وَهِيَ عَلَيْهَا .

ثُمَّ قِيلَ لَهُ : نَادِ فَنَادَى : يَا أَيَّتُهَا الْأَجْسَادُ ! إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَقُومِي ، فَقَامُوا" .

قَالَ : ثنا أَسْبَاطٌ ، فَزَعَمَ مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، "أَنَّهُمْ قَالُوا حِينَ أُحْيُوا : "سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ" .

فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ أَحْيَاءً ، يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَوْتَى : سِحْنَةُ الْمَوْتِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، لَا يَلْبَسُونَ ثَوْبًا ؛ إِلَّا عَادَ كَفَنًا دَسْمًا مِثْلَ الْكَفَنِ ، حَتَّى مَاتُوا لِآجَالِهِمُ الَّتِي كُتِبَتْ لَهُمْ" .

قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : "كَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، أَوْ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ ، حَظَرَ عَلَيْهِمْ حَظَائِرَ ، وَقَدْ أَرْوَحَتْ أَجْسَادُهُمْ وَأَنْتَنُوا" .

قالَ ابنُ كثيرٍ :

"وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ . وَعَنْهُ : ثَمَانِيَةَ آلَافٍ .

وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ : تِسْعَةَ آلَافٍ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا : كَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : كَانُوا مِنْ أَهْلِ " أَذْرِعَاتٍ " .

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ : هَذَا مَثَلٌ - يَعْنِي أَنَّهُ سِيقَ مَثَلًا مُبَيِّنًا أَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ - ، وَقَوْلُ الْجُمْهُورِ أَقْوَى ؛ أَنَّ هَذَا وَقَعَ" .

"تفسير الطبري" ، و "ابن كثير" [البقرة: ٢٤٣] ، و "البداية والنهاية" (٢/٢٨١) "حوادث قبل الإسلام" ، وانظر "تاريخ الطبري" (١/٤٦٠-٤٦١) . وانظر الآثار أعلاه "تفسير ابن أبي حاتم" (٢/٤٥٥-٤٥٧) .

قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ . [الأعراف : ١٧٥] .

روى الطبريُّ بسَنَدِهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ ، قَالَ : "هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، يُقَالُ لَهُ : بَلْعَمُ بْنُ أَبُرَ" .

وَبِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ ، قَالَ : "هُوَ بَلْعَمُ بْنُ بَاعُرَاء مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَكَانَ يَعْلَمُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ ، أُوتِيَ كِتَابًا .

قَالَ : لَمَّا نَزَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْنِي بِالْجَبَّارِينَ وَمَنْ مَعَهُ ، أَتَاهُ – يَعْنِي "بَلْعَمَ" – بَنُو عَمِّهِ وَقَوْمُهُ ، فَقَالُوا : إِنَّ مُوسَى رَجُلٌ حَدِيدٌ ، وَمَعَهُ جُنُودٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّهُ إِنْ يَظْهَرَ عَلَيْنَا يُهْلِكْنَا .

فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ عَنَّا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، قَالَ : إِنِّي إِنْ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ؛ ذَهَبَتْ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي .

فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى دَعَا عَلَيْهِمْ ، فَسَلَخَهُ اللَّهُ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، فنُزِعَ مِنْهُ الْعِلْمُ .

فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا .. ﴾" .

انظر : "تفسير الطبري" ، و "ابن كثير" [الأعراف: ١٧٥] ، و "تفسير ابن أبي حاتم" (٥/١٦١٦-١٦٢١) .

قالَ ابنُ كثيرٍ :

"ذِكْرُ نُبُوَّةِ يُوشَعَ – ابْنِ نُونٍ – وَقِيَامِهِ بِأَعْبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ عليهما السلام

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ نَكَلَ عَنْ دُخُولِ مَدِينَةِ الْجَبَّارِينَ، الَّذِينَ قَالُوا : ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] .

قَالَهُ : الثَّوْرِيُّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما .

وَقَالَهُ : قَتَادَةُ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَرَوَاهُ السُّدِّيُّ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، حَتَّى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ : وَمَاتَ مُوسَى ، وَهَارُونُ قَبْلَهُ — أي: قبل يُوشَعَ – .

وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّة "بِلْعَامُ" فِي "التَّفْسِيرِ" ، وَأَنَّهُ كَانَ فِيمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَغَيْرُهُ : يَعْلَمُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ ، وَأَنَّ قَوْمَهُ سَأَلُوهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مُوسَى وَقَوْمِهِ ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِ ، رَكِبَ حِمَارَةً لَهُ ، ثُمَّ سَارَ نَحْوَ مُعَسْكَرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، رَبَضَتْ بِهِ حِمَارَتُهُ ، فَضَرَبَهَا ، حَتَّى قَامَتْ فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ وَرَبَضَتْ ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ فَقَامَتْ ، ثُمَّ رَبَضَتْ فَضَرَبَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ :

يَا بِلْعَامُ ! أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ أَمَا تَرَى الْمَلَائِكَةَ أَمَامِي تَرُدُّنِي عَنْ وَجْهِي هَذَا ؟!

أَتَذْهَبُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ؛ تَدْعُو عَلَيْهِمْ ؟ فَلَمْ يَنْزِعْ عَنْهَا ، فَضَرَبَهَا حَتَّى سَارَتْ بِهِ ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ رَأْسِ جَبَلِ حُسْبَانَ ، وَنَظَرَ إِلَى مُعَسْكَرِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَخَذَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ ، فَجَعَلَ لِسَانُهُ لَا يُطِيعُهُ ؛ إِلَّا أَنْ يَدْعُوَ لِمُوسَى وَقَوْمِهِ ، وَيَدْعُو عَلَى قَوْمِ نَفْسِهِ ، فَلَامُوهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ : لَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا هَذَا ، وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ : ذَهَبَتْ مِنِّي الْآنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَكْرُ وَالْحِيلَةِ .

ثُمَّ أَمَرَ قَوْمَهُ أَنْ يُزَيِّنُوا النِّسَاءَ ، وَيَبْعَثُوهُنَّ بِالْأَمْتِعَةِ يَبِعْنَ عَلَيْهِمْ ، وَيَتَعَرَّضْنَ لَهُمْ ، حَتَّى لَعَلَّهُمْ يَقَعُونَ فِي الزِّنَى فَإِنَّهُ مَتَى زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ كُفِيتُمُوهُمْ .

فَفَعَلُوا وَزَيَّنُوا نِسَاءَهُمْ ، وَبَعَثُوهُنَّ إِلَى الْمُعَسْكَرِ ، فَمَرَّتِ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ اسْمُهَا "كَسْتَى" بِرَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهُوَ "زِمْرِيُّ بْنُ شَلُومَ" ، يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ رَأْسَ "سِبْطِ بَنِي شَمْعُونَ بْنِ يَعْقُوبَ – ابنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ–" .

فَدَخَلَ بِهَا قُبَّتَهُ ، فَلَمَّا خَلَا بِهَا ؛ أَرْسَلَ اللَّهُ **الطَّاعُونَ** عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَجَعَلَ يَجُوسُ فِيهِمْ .

فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ إِلَى فِنْحَاصَ بْنِ الْعَيْزَارِ بْنِ هَارُونَ ، أَخَذَ حَرْبَتَهُ ، وَكَانَتْ مِنْ حَدِيدٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا الْقُبَّةَ ، فَانْتَظَمَهُمَا جَمِيعًا فِيهَا ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا عَلَى النَّاسِ وَالْحَرْبَةِ فِي يَدِهِ ، وَقَدِ اعْتَمَدَ عَلَى خَاصِرَتِهِ وَأَسْنَدَهَا إِلَى لِحْيَتِهِ ، وَرَفَعَهُمَا نَحْوَ السَّمَاءِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ : "اللَّهُمَّ هَكَذَا نَفْعَلُ بِمَنْ يَعْصِيكَ" .

وَرَفَعَ الطَّاعُونَ ، فَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ مَاتَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَالْمُقَلِّلُ ، يَقُولُ : عِشْرِينَ أَلْفًا – في ساعة من النهار– .

وَكَانَ فِنْحَاصُ ؛ بِكْرَ أَبِيهِ الْعَيْزَارِ بْنِ هَارُونَ .

قال **ابنُ كثيرٍ** : وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قِصَّةِ بِلْعَامَ صَحِيحٌ قَدْ ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ" .

"البداية والنهاية" (٢/٢٣٣-٢٣٤) ط. هجر ، وانظر القصة أيضًا "تاريخ الطبري" (١/٤٣٨-٤٣٩) ، و "تفسيره" [الأعراف: ١٧٥] .

قالَ جامِعُهُ :

لعلَّ هَذا الطاعونَ هُوَ ما جاءَ في قولِهِ ﷺ :

(**إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ : رِجْزٌ سُلِّطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَوْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**) . رواه أحمد ، ومسلم . سبق تخريجه أول البحث .

قالَ ابنُ القيِّمِ :

"وَلَا رَيْبَ ! أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ : أَصْلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعُقُوبَاتِ الْعَامَّةِ ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ فَسَادِ أُمُورِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَاخْتِلَاطُ الرِّجَالِ

بِالنِّسَاءِ : سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الْفَوَاحِشِ وَالزِّنَا ، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ ، وَالطَّوَاعِينِ الْمُتَّصِلَةِ .

وَلَمَّا اخْتَلَطَ الْبَغَايَا بِعَسْكَرِ مُوسَى ، وَفَشَتْ فِيهِمْ الْفَاحِشَةُ : أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ الطَّاعُونَ . فَمَاتَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفًا .

وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ "التَّفَاسِيرِ" .

فَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِّ : كَثْرَةُ الزِّنَا ، بِسَبَبِ تَمْكِينِ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلَاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ ، وَالْمَشْيِ بَيْنَهُمْ مُتَبَرِّجَاتٍ مُتَجَمِّلَاتٍ ، وَلَوْ عَلِمَ أَوْلِيَاءُ الْأَمْرِ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الدُّنْيَا وَالرَّعِيَّةِ قَبْلَ الدِّينِ ؛ لَكَانُوا أَشَدَّ شَيْءٍ مَنْعًا لِذَلِكَ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : "إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا فِي قَرْيَةٍ أَذِنَ اللَّهُ بِهَلَاكِهَا" .

"الطرق الحكمية" (ص ٢٥٩-٢٦٠) ط. الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧هـ ، (ص ٢٨٠) ط. السنة المحمدية – القاهرة ، سنة ١٣٧٢هـ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

قالَ جامِعُهُ :

أثرُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه : رواه الطبري في "تفسيره" بزيادة: "وَالرِّبَا" (٢٢٣٩٦)

وأورده القرطبي في "تفسيره" (٣/٣٤٤)، والعجلوني في "كشف الخفاء" (٢٩٣) .

وأخرجه الطبراني في "الكبير (١٠/٢٠١-٢٠٢/١٠٣٢٩) عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بلفظِ : "لَمْ يَهْلِكْ أَهْلُ نُبُوَّةٍ قَطُّ حَتَّى يَظْهَرَ الزِّنَى وَالرِّبَا" .

وجاءَ مرفوعًا عنهُ رضي الله عنه ، أنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : (**مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الزِّنَى ، وَالرِّبَا ؛ إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ جَلَّا وَعَلَا**) .

حسنٌ لغيره : رواه أحمد (١/٤٠٢) ، وأبو يعلى في "المسند" (٤٩٨١) ، وابن حبان (٤٤١٠) .

انظر : "التعليقات الحسان" (٤٣٩٣) ، و "صحيح الجامع" (٥٦٣٤) ، و "صحيح الترغيب" (١٨٦٠، ٢٤٠٢) .

ويَشهَدُ لهُ المرفوعُ أيضًا مِن حَديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا ، وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ ؛ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**) .

حسنٌ : رواه الطبراني في الكبير" (١/١٧٨/٤٦٠) ، والحاكم (٢/٣٧) – وصححه ، ووافقه الذهبي– . والبيهقي في "الشعب" (٤/٣٩٧/٥٥٣١) .

انظر : "غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام" (٣٤٤) ، و "صحيح الجامع" (٦٧٩) ، و "صحيح الترغيب" (١٨٥٩، ٢٤٠١) .

وعَنْ **عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما ، **قَالَ** : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : (يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ) – وذَكَرَ مِنها– :

(**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا ، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**) .

حسن : رواه ابن ماجه (٤٠١٩) ، والبيهقي في "الشعب" (٣٣١٣، ٣٣١٤، ١٠٥٥٠) ، والطبراني في "الكبير" من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – فيه "الْمَوْتُ" بدل "الطَّاعُونُ" – (١١/٤٥/١٠٩٩٢) .

صححه الألباني . انظر : "الصحيحة" (١٠٦) ، و "صحيح الجامع" (٣٢٤٠، ٧٩٧٨) ، و "صحيح الترغيب" (٧٦٥، ١٧٦١، ٢٤١٩) .

وَمِن حَوادِثِ الطاعُونِ في بَني إسرائيلَ

ما رواهُ ابنُ جريرٍ الطبريُّ بسَنَدِهِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ :

"أَمَرَ مُوسَى قَوْمَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا جَاءَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ بِالْآيَاتِ الْخَمْسِ الطُّوفَانِ ، وَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا ، وَلَمْ يُرْسِلُوا مَعَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَقَالَ : لِيَذْبَحْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَبْشًا ، ثُمَّ لِيَخْضِبْ كَفَّهُ فِي دَمِهِ ، ثُمَّ لِيَضْرِبْ بِهِ عَلَى بَابِهِ .

فَقَالَتِ الْقِبْطُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : لِمَ تَجْعَلُونَ هَذَا الدَّمَ عَلَى أَبْوَابِكُمْ ؟

فَقَالُوا : إِنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا فَنَسْلَمُ وَتَهْلَكُونَ .

فَقَالَتِ الْقِبْطُ : فَمَا يَعْرِفُكُمُ اللَّهُ إِلَّا بِهَذِهِ الْعَلَامَاتِ ؟

فَقَالُوا : هَكَذَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا .

فَأَصْبَحُوا وَقَدْ طُعِنَ – أي: أصابهم الطاعون– مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ سَبْعُونَ أَلْفًا [ذُرًى] ، فَأَمْسَوْا وَهُمْ لَا يَتَدَافَنُونَ .

فَقَالَ فِرْعَوْنُ عِنْدَ ذَلِكَ – لموسى عليه السلام – : ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ ﴾ ؛ وَهُوَ الطَّاعُونُ ، ﴿ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ . [الأعراف: ١٣٤] . فَدَعَا رَبَّهُ فَكَشَفَهُ عَنْهُمْ ، فَكَانَ أَوْفَاهُمْ كُلُّهُمْ فِرْعَوْنَ ، قَالَ: اذْهَبْ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ حَيْثُ شِئْتَ" .

"تفسير الطبري" (١٥٠٤٣)، ورواه بسنده ابن أبي حاتم، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، به في "تفسيره" (٥/١٥٥٠/٨٨٩٠).

قال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ في "بذل الماعون في فضل الطاعون" (ص ٨٣-٨٤) بعدَ أنْ نقلَ الروايةَ بلفظِ الطبريِّ ؛ كما قالَ ، قالَ : "هذا مرسَلٌ قويٌّ" .

وقد عَزاهُ لعبد بنِ حُميد ، وأبي جعفرٍ الطبريِّ ، وأبي محمدٍ بنِ أبي حاتمٍ في "تفاسيرِهم" ، وإبراهيمَ الحربيِّ في "غريبه" .

قالَ جامِعُهُ :

قَوْلُ الحافِظِ : "مرسَلٌ قويٌّ" ؛ هُو : باعتبارِ روايةِ ابنِ جريرٍ الطبريِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ المرسَلَةِ ، ولكنْ إذا عَلِمْنا أنَّ ابنَ أبي حاتمٍ وَصَلَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ فهذا يَزيدُنا طُمأنينةً ، وقُوَّةً في سَنَدِهِ إلى قُوَّةٍ .

وقد أشارَ الحافِظُ رحمَهُ اللهُ إلى روايةِ ابنِ أبي حاتمٍ الموصولةِ ، فلا أدري لِماذا عَدَلَ عنها ؟

وَعَنْ **صُهَيْبٍ** ﷺ ، **قَالَ** : "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى ؛ هَمَسَ شَيْئًا ، لَا نَفْهَمُهُ ، وَلَا يُحَدِّثُنَا بِهِ ، قَالَ :

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**فَطِنْتُمْ لِي ؟**) .

قَالَ قَائِلٌ : نَعَمْ .

قَالَ : (**فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَ : مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ ؟**) .

أَوْ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ ، شَكَّ سُلَيْمَانُ .

قَالَ : (**فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ :**

إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ . أَوِ الْجُوعَ . أَوِ الْمَوْتَ)

قَالَ : (**فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالُوا : أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ ، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ ، فَخِرْ لَنَا**) .

قَالَ : (**فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ**) .

قَالَ : (وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا ؛ إِلَى الصَّلَاةِ) .

قَالَ : (فَصَلَّى ، قَالَ : أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ ؛ فَلَا . أَوِ الْجُوعُ ؛ فَلَا . وَلَكِنِ الْمَوْتُ) .

قَالَ : (فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا ، فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ ، أَنِّي أَقُولُ : "اللهُمَّ يَا رَبِّ ، بِكَ أُقَاتِلُ ، وَبِكَ أُصَاوِلُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ") .

رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٠/٣١٩/٩٥٥٧) و "المسند" (١/٣٢٢/٤٨٠) ، وأحمد (٤/٣٣٢، ٣٣٣ و ٦/١٦) ، والمروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (١/٢٢٦/٢٠٩) ، والنسائي في "الكبرى" (٨٦٣٣، ١٠٤٥٠ كسروي ، والسراج في "حديثه" (٢/٣١٣/١٢٩٩) ، وابن حبان (١٩٧٥) ، والطبراني في "الكبير" (٨/٤٨/٧٣١٨) ، وأبو نُعيم في "الحلية" (١/١٥٥) ، والبيهقي في "الكبرى" (٩/١٥٣) ، والضياء في "المختارة" (٨/٥٩، ٦١) .

صححه ابن حبان ، والضياء .

وصححه الألباني . انظر : "التعليقات الحسان" (١٩٧٢) ، و "الصحيحة" (١٠٦١) .

وفي روايةٍ لبعضِهِم :

"أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، كَانَ أَيَّامَ حُنَيْنٍ ؛ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بِشَيْءٍ ، لَمْ نَكُنْ نَرَاهُ يَفْعَلُهُ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّا نَرَاكَ تَفْعَلُ شَيْئًا ؛ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ ، فَمَا هَذَا الَّذِي تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ ؟

قَالَ : (**إِنَّ نَبِيًّا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَعْجَبَتْهُ كَثْرَةُ أُمَّتِهِ ، فَقَالَ : لَنْ يَرُومَ هَؤُلَاءِ شَيْءٌ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ :**

أَنْ خَيِّرْ أُمَّتَكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ نُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ ، أَوِ الْجُوعَ ، وَإِمَّا أَنْ أُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ .

فَشَاوَرَهُمْ ، فَقَالُوا : أَمَّا الْعَدُوُّ ؛ فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ ، وَأَمَّا الْجُوعُ ؛ فَلَا صَبْرَ لَنَا عَلَيْهِ ، وَلَكِنِ الْمَوْتُ .

فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ : سَبْعُونَ أَلْفًا) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

(**فَأَنَا أَقُولُ الْآنَ ، حَيْثُ رَأَى كَثْرَتَهُمْ : "اللهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ ، وَبِكَ أُصَاوِلُ ، وَبِكَ أُقَاتِلُ"**) .

قالَ جامِعُهُ :

الموتُ الذي أُرسِلَ على بني إسرائيلَ في الحديثِ أعلاهُ ، هُو : الطاعُونُ ، كما تُبيِّنُهُ الروايةُ التاليةُ :

ذَكَرَ ابنُ حَجَرٍ :

"قراءةً على فاطمةَ المقدسيةِ ، – بِسَنَدِها – عن عليّ بن أبي طالبٍ ﷺ :

(أنَّ نبيّاً مِنَ الأنبياءِ ؛ عَصَاهُ قومُهُ ، فقِيلَ لَهُ : نقتُلُهم بالجوعِ ؟

قالَ : لا . قالَ : نُسَلِّطُ عليهِم عَدوًّا مِن غيرِهِم ؟ قالَ : لا .

ولكنْ موتٌ دَقيقٌ) .

قالَ عليٌ : فَسَلَّطَ اللهُ تعالى عليهِم **الطاعُونَ** ، فجَعَلَ يقِلُّ العَدَد ويحرقُ القُلوبَ) . لفظُ سُفيانٍ .

ولفظُ إسرائيلَ نحوه ، وزادَ : (وهُوَ بَقيَّةُ عذابٍ عُذِّبَ بِهِ مَنْ كانَ قبلَكُم).

هذا إسنادٌ حَسنٌ ، أخرَجَهُ مُطَيَّنٌ في "مُسنده" هكذا ، وكأنَّهُ جَعَلَ لهُ حُكمَ الرفعِ ، إذْ لا مجالَ للرأيِ فيهِ" . انتهى .

"بذل الماعون في فضل الطاعون" (ص ٨١-٨٢) .

ثانياً : الطاعُونُ في عَهْدِ الإسلامِ

(ذِكْرُ الطواعِين وأوقاتِها هُنا إِجْمالًا ، ثُمّ نأتي على بَعْضٍ مِنها بِتَوارِيخِها)

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَايِنِيُّ (ت ٢٢٤هـ) : "كَانَتِ الطَّوَاعِينُ الْمَشْهُورَةُ الْعِظَامُ فِي الْإِسْلَامِ خَمْسَةً :

١) طَاعُونُ "شِيرَوَيْهِ" بِالْمَدَائِنِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي "سَنَةِ ٦ مِنَ الْهِجْرَةِ" ، ثُمَّ :

٢) طَاعُونُ "عَمَوَاسَ" فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، وَكَانَ بِالشَّامِ ، مَاتَ فِيهِ : "خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا" . ثُمَّ :

٣) طَاعُونُ "الْجَارِفِ" فِي زمن ابن الزُّبَيْرِ فِي "شَوَّالٍ سَنَةَ ٦٩ منَ الهِجرةِ" ، هَلَكَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ "سَبْعُونَ أَلْفًا" ، مَاتَ فِيهِ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : "ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ ابْنًا" ، وَيُقَالُ : "ثَلَاثَةٌ

وَسَبْعُونَ ابْنًا" ، وَمَاتَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ : "أَرْبَعُونَ ابْنًا" ، ثُمَّ :

٤) طَاعُونُ "الْفَتَيَاتِ" فِي "شَوَّالٍ سَنَةَ ٨٧ مِنَ الهِجرةِ" ، ثُمَّ كَانَ :

٥) طَاعُونٌ فِي "سَنَةِ ١٣١ فِي رَجَبٍ" ، وَاشْتَدَّ فِي "شَهْرِ رَمَضَانَ" فَكَانَ يُحْصَى فِي سِكَّةِ الْمُرِيدِ فِي كُلِّ يَوْمٍ "أَلْفُ جِنَازَةٍ" ؛أَيَّامًا ، ثُمَّ خَفَّ فِي "شَوَّالٍ" ، وَكَانَ بِالْكُوفَةِ :

٦) طَاعُونٌ ، وَهُوَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ "سَنَةَ ٥٠ مِنَ الهِجرةِ" .

قالَ **النوويُّ** : هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْمَدَائِنِيُّ .

وَكَانَ طَاعُونُ "عَمَوَاسَ" ؛ سَنَةَ ١٨ ، وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ : كَانَ سَنَةَ ١٧ أَوْ ١٨ مِنَ الهِجرةِ .

وعَمَواس ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالْمِيمِ : قَرْيَةٌ بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، نُسِبَ الطَّاعُونُ إِلَيْهَا ؛ لِكَوْنِهِ بَدَأَ فِيهَا . وَقِيلَ : لِأَنَّهُ عَمَّ الناس وتواسوا فيه .

ذكر القولين : الحافظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ فِي تَرْجَمَةِ : أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجراح رضي الله عنه .

انتهى من "شرح مسلم" (١/١٠٦-١٠٧) ، و "الأذكار" (ص ١٣٩) ط. ١٣٩٩هـ بشرح وجيز لابن علان .

قال أبو محمدٍ ابنُ قُتَيْبَةَ الدينوري (ت ٢٧٦هـ) :

حدّثني أبُو حاتِمٍ ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، قال : أَوَّلَ طَاعُونٍ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ : طَاعُونُ : "عَمَوَاسَ" فِيهِ مات : "مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ" ، وَ "امْرَأَتَاهُ وَابْنُهُ" – رضي الله عنهم – ، و "أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ" – رضي الله عنه – .

وطَاعُون : "شِيرَوَيْهِ بن كسرى" بالعراق ، فِي زمن واحد ، وكانا جميعًا فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - ﷺ -. وبين طاعونِ "شيرويه" وبين طاعونِ "عمواس" مدةٌ طويلةٌ .

ثُمَّ طَاعُون : "الجَارِفُ" فِي زمن "ابن الزُّبَيْرِ" سنة ٦٩ ، وعلى "البصرةِ" يومئذ "عبيدُ اللهِ بن عبدِ اللهِ بنِ معمرٍ" .

ثُمَّ طَاعُونُ : "الْفَتَيَاتِ" لِأَنَّهُ بَدَأَ فِي : العذارى ، والجواري : بِالْبَصْرَةِ ، وَبِوَاسِطٍ ، وَبِالشَّامِ ، وَالْكُوفَةِ ، و "الْحَجَّاجُ" يَوْمَئِذٍ بِـ"وَاسِطٍ" فِي وِلَايَةِ "عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ" ، وماتَ فيه "عبدُ الملكِ بنُ مروان" ، أو بعدَهُ بقليلٍ ، وماتَ فيهِ "أميةُ بنُ خالدٍ بن عبدِ اللهِ بن خالدٍ بن أسيدٍ" ، و "عليُّ بنُ أصمعٍ" ، و "صعصعةُ بنُ حصنٍ" .

وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : طَاعُونُ الْأَشْرَافِ - يَعْنِي : لِمَا مَاتَ فِيهِ مِنَ الْأَشْرَافِ - .

ثُمَّ طَاعُونُ : "عَدِيِّ بْنِ أَرْطْأَةَ" سَنَةَ مِائَةٍ .

ثُمَّ طَاعُونُ : "غُرَابٍ" سَنَةَ "١٢٧ مِنَ الهِجرةِ" ، وَ "غُرَابٌ" : "رَجُلٌ من الرّباب" ، وكان أوّل من مات فيه ، في ولاية "الوليد بن يزيد ابن عبد الملك" .

ثُمَّ طَاعُونُ : "مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ" سَنَةَ "١٣١ فِي شَعْبَانَ وَشَهْرِ رَمَضَانَ" ، وَأَقْلَعَ فِي "شَوَّالٍ" ، وَفِيهِ مَاتَ : أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ .

قَالَ : وَلَمْ يَقَعْ بِالْمَدِينَةِ وَلَا بِمَكَّةَ طَاعُونٌ قَطُّ" . انتهى.

"المعارف" لابن قتيبة (ص ٦٠١-٦٠٢) . ونقله النووي في "شرح مسلم" (١٠٦/١) بشيء من الزيادات البسيطة هناك .

قالَ جامِعُهُ :

قولُهُ : "وَلَمْ يَقَعْ بِالْمَدِينَةِ وَلَا بِمَكَّةَ طَاعُونٌ قَطُّ" ؛ فيهِ نَظَرٌ بالنسبةِ لِمكةَ .

فلا أَدْري ؛ أَهُوَ مِن قَوْلِ ابنِ قُتيبةَ أَو الأصمعيِّ ؟

فإنْ ذهبَ أيُّهما أو كِلاهُما رحمهما اللهُ تعالى إلى الحديثِ :

(الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالْمَلَائِكَةِ ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكٌ ؛ لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ ، وَلَا الطَّاعُونُ) .

فقد تَكَلَّمْنَا عَنْ هذا الحديثِ بما يكفي في بدايةِ هَذا البحثِ، ولا أعتقدُ أنَّ أحدَهُما قَصَدَ هذا الحديثَ ؛ لأنهما إمامانِ في العِلمِ ويَعْلَمان حَالَ هذا الحديثِ .

وإِنْ قَصَدَ أحدُهُما ؛ سَبْرَ التاريخِ ، فالتاريخُ يَصْعُبُ سَبْرُهُ والإحاطةُ بِهِ ، لا سِيّما أنهُما مِنْ أصحابِ القرنِ الثالثِ الهِجريِّ . واللهُ أعلمُ .

قالَ ابنُ حَجَرٍ :

"جزمَ ابنُ قُتَيْبَةَ فِي "الْمَعَارِفِ" وَتَبِعَهُ جَمْعٌ جَمٌّ مِنْ آخِرِهِمْ : الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ فِي "الْأَذْكَارِ" :

بِأَنَّ الطَّاعُونَ : لَمْ يَدْخُلِ الْمَدِينَةَ أَصْلًا ، وَلَا مَكَّةَ أَيْضًا .

لَكِنْ نَقَلَ جَمَاعَةٌ : أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ ؛ فِي الطَّاعُونِ الْعَامِّ الَّذِي كَانَ فِي سَنَةِ "٧٤٩ مِنَ الهِجرةِ " بِخِلَافِ الْمَدِينَةِ ، فَلَمْ يَذْكُرِ أَحَدٌ قَطُّ : أَنَّهُ وَقَعَ بِهَا الطَّاعُونُ أصلًا". "الفتح" (١٩٠/١٠).

"النجومُ الزاهرةُ في مُلوكِ مِصرَ والقاهرةِ" (١٤٠/١) ليُوسُفَ بنِ تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)

ابنُ تغري بردي في ذِكْرِ أربعةِ الطواعينِ المشهورةِ في الإِسلامِ ، قالَ :

الأولُ : كان بالمدائن في عهد النبي ﷺ .

الثاني : طاعون "عمواس" في زمان عمر رضي الله عنه .

الثالثُ : بالكوفة وأميرها أبو موسى الأشعري .

الرابعُ : الطاعونُ العظيم أيضًا بالكوفة . وأميرها المغيرة بن شعبة ، ومات فيه بعد أن فرّ منه .

ذِكْرُ ملك شيرويه بن ابرويز

"تاريخ الطبري - تاريخ الرسل والملوك-" (٢٢٩/٢) لأبي جعفر ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)

ابنُ جريرٍ : "إن الطاعون فشا في أيامه حتى هلك الفرس ؛ إلا قليلاً منهم ، وكان ملكه ثمانية أشهر" .

طَاعُونُ عَمَوَاسَ

تاريخ الطبري" (٤٨٦/٢، ٤٨٩) سنة "١٧ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ جريرٍ : "عن أبي حارثة وأبي عثمان والربيع ، قالوا : وقع الطاعون : بالشام ، ومصر ، والعراق ، واستقر بالشام ، ومات فيه الناس الذين هم في كل الأمصار في "المحرم وصفر" ، وارتفع عن الناس ، وكتبوا بذلك إلى عمر ما خلا الشام ، فخرج ؛ حتى إذا كان منها قريبًا ؛ بلغه أنه أشد ما كان ، فقال ، وقال الصحابة :

قال رسول الله ﷺ : (إذا كان بأرضٍ وباء ؛ فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها ؛ فلا تخرجوا منها) ، فرجع حتى ارتفع عنها .

وعن أبي عثمان ، وأبي حارثة ، والربيع بإسنادهم ، قالوا :

كان ذلك الطاعون – يعنون طاعون عَمَواس– موتانًا لم يُرَ مثله .

طمع له العدو في المسلمين ، وتخوفت له قلوب المسلمين ، كثر موته ، وطال مكثه ، مكث أشهرًا حتى تكلم في ذلك الناس" .

طَاعُونُ عَمَوَاسَ وَعَامُ الرَّمَادَةِ

"البداية والنهاية" (١٠/٦٨) "سَنَةُ ١٨ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَأَبُو مَعْشَرٍ : كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ طَاعُونُ عَمَوَاسَ – بُلَيْدَةٍ صَغِيرَةٍ بَيْنَ الْقُدْسِ وَالرَّمْلَةِ– وَعَامُ الرَّمَادَةِ ، فَتَفَانَى فِيهَا النَّاسُ .

قُلْتُ : كَانَ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ جَدْبٌ عَمَّ أَرْضَ الْحِجَازِ ، وَجَاعَ النَّاسُ جُوعًا شَدِيدًا ، وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ فِي " سِيرَةِ عُمَرَ " .

وَسُمِّيَتْ عَامَ الرَّمَادَةِ لِأَنَّ الْأَرْضَ اسْوَدَّتْ مِنْ قِلَّةِ الْمَطَرِ ، حَتَّى عَادَ لَوْنُهَا شَبِيهًا بِالرَّمَادِ . وَقِيلَ : لِأَنَّهَا كَانَتْ تَسْفِي الرِّيحُ تُرَابًا كَالرَّمَادِ .

وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتْ لِكُلٍّ مِنْهُمَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" .

قولُه: "**فَتَفَانَى فِيهَا النَّاسُ**"؛ أي: ماتُوا فيه وهلكوا.

طَاعُونُ الكوفةِ

تاريخ الطبري" (٢٠٦/٣) سنة "٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ جريرٍ : "في هذه السنة : وقع الطاعون بالكوفة ، فهرب المغيرة بن شعبة من الطاعون ، فلما ارتفع الطاعون ، قيل له : لو رجعت إلى الكوفة ! فقدمها ، فطعن ؛ فمات" .

"البداية والنهاية" (٧١٩/١١) سَنَةُ "٦٥ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ الطَّاعُونُ الْجَارِفُ بِالْبَصْرَةِ .

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي "الْمُنْتَظَمِ" :

كَانَ فِي سَنَةِ "٦٤" ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّمَا كَانَ فِي سَنَةِ "٦٩" . وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ الَّذِي ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَكَانَ مُعْظَمَ ذَلِكَ بِالْبَصْرَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي "ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ" .

فَمَاتَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ : سَبْعُونَ أَلْفًا .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْهُ : أَحَدٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْهُ : ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا .

وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ : مَوْتَى إِلَّا قَلِيلًا مِنْ آحَادِ النَّاسِ ، حَتَّى ذُكِرَ أَنَّ أُمَّ الْأَمِيرِ بِهَا مَاتَتْ ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَنْ يَحْمِلُهَا ، حَتَّى اسْتَأْجَرُوا لَهَا أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ" . وانظر "تاريخ الطبري" (٤٢٤/٣)، و "المنتظم" (٢٥/٦).

"البداية والنهاية" (١١/٧٢٠) سَنَةُ "٦٥ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "قَالَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِصَامٍ ، حَدَّثَنِي مَعْدِيٌّ ، عَنْ رَجُلٍ يُكَنَّى أَبَا النُّفَيْلِ ، وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ زَمَنَ الطَّاعُونِ ، قَالَ :

كُنَّا نَطُوفُ فِي الْقَبَائِلِ وَنَدْفِنُ الْمَوْتَى ، فَلَمَّا كَثُرُوا لَمْ نَقْوَ عَلَى الدَّفْنِ ، فَكُنَّا نَدْخُلُ الدَّارَ ، وَقَدْ مَاتَ أَهْلُهَا ، فَنَسُدُّ بَابَهَا .

قَالَ : فَدَخَلْنَا دَارًا فَفَتَّشْنَاهَا ، فَلَمْ نَجِدْ فِيهَا أَحَدًا حَيًّا فَسَدَدْنَا بَابَهَا ، فَلَمَّا مَضَتِ الطَّوَاعِينُ كُنَّا نَطُوفُ نَنْزِعُ تِلْكَ السُّدَدِ عَنِ الْأَبْوَابِ ، فَفَتَحْنَا سُدَّةَ الْبَابِ الَّذِي كُنَّا فَتَّشْنَاهُ ، فَإِذَا نَحْنُ بِغُلَامٍ فِي وَسَطِ الدَّارِ طَرِيٍّ دَهِينٍ ، كَأَنَّمَا أُخِذَ سَاعَتَئِذٍ مِنْ حِجْرِ أُمِّهِ .

قَالَ : وَنَحْنُ وُقُوفٌ عَلَى الْغُلَامِ نَتَعَجَّبُ مِنْهُ فَدَخَلَتْ كَلْبَةٌ مِنْ شَقٍّ فِي الْحَائِطِ ، فَجَعَلَتْ تَلُوذُ بِالْغُلَامِ ، وَالْغُلَامُ يَحْبُو إِلَيْهَا حَتَّى مَصَّ مِنْ لَبَنِهَا . قَالَ مَعْدِيٌّ : وَأَنَا رَأَيْتُ ذَلِكَ الْغُلَامَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ قَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ" .

"تاريخ الطبري" (٦١٤/٣) سنة "٧٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ جريرٍ : "(ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة) ، فمن ذلك :

ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفنون من شدته ، فلم يغز في تلك السنة أحد- فيما قيل- للطاعون الذي كان بها، وكثرة الموت" .

"تاريخ الطبري" (١٥٠/٤) سنة "١١٤ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ جريرٍ : "في هذه السنة : وقع الطاعون - فيما قيل - بواسط" .

"تاريخ الطبري" (١٥٢/٤) سنة "١١٥ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ جريرٍ : "فيها وقع الطاعون بالشام" .

"تاريخ الطبري" (٣٣٢/٤) سنة "١٣٠ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ جريرٍ : "في هذه السنة وقع الطاعون بالبصرة" .

"المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" (١٦/١٧-١٨) لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) سَنَةُ "٤٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ الجوزيِّ : "في جمادى الآخرة : ورد كتاب من تُجار ما وراء النهر قد وقع في هذه الديار وباء عظيم مسرف زائد عن الحد ، حتى أنه خرج من هذا الإقليم في يوم واحد ثمانية عشر ألف جنازة ، وأحصى من مات إلى أن كتب هذا الكتاب ، فكانوا "ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألفًا" ، والناس يمرون في هذه البلاد ، فلا يرون إلا أسواقًا فارغة ، وطرقات خالية ، وأبوابًا مغلقة ، حتى إن البقر نفقت .

وجاء الخبر من آذربيجان ، وتلك الأعمال بالوباء العظيم ، وأنه لم يسلم إلا العدد القليل .

ووقع وباء "بالأهواز" وأعمالها "وبواسط ، وبالنيل ، ومطيرآباذ ، والكوفة" ، وطبق الأرض حتى كان يُخد "للعشرين والثلاثين" زبية فيلقون فيها ، وكان أكثر سبب ذلك الجوع ، وكان الفقراء يشوون الكلاب ، وينبشون القبور فيشوون الموتى ويأكلونهم ، وكان لرجل جريبان أرضًا دفع إليه في ثمنها عشرة دنانير فلم يبعها ، فباعها حينئذ بخمسة أرطال خبز ، وأكلها ومات من وقته .

وطويت التجارات ، وأمور الدنيا ، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات والتجهيز والدفن ، وكان الإنسان قاعدًا فينشق قلبه عن دم المهجة فيخرج إلى الفم منه قطرة فيموت الإنسان .

وتاب الناس كلهم ، وتصدقوا بمعظم أموالهم ، وأراقوا الخمور ، وكسروا المعازف ، ولزموا المساجد ؛ لقراءة القرآن ، وكل دار فيها خمر ؛ يموت أهلها في ليلة واحدة .

ووجدوا دارًا فيها "ثمانية عشر نفسًا موتى ، ففتشوا متاعهم ؛ فوجدوا خابية خمر ، فأراقوها .

ودخلوا على مريض طال نزعه "سبعة أيام" ، فأشار بإصبعه إلى خابية خمر ، فقلبوها وخلصه الله تعالى من السَّكرة ؛ فقضى .

ذلك كان من يدخل هذه الدار ؛ يموت ، ومن كان مع امرأة حراماً ماتا من ساعتهما ، وكل مسلمين بينهما هجران وأذى فلم يصطلحا ؛ ماتا معًا ، ومن دخل الدار ليأخذ شيئاً مما قد تخلف فيها وجدوا المتاع معه وهو ميت .

ومات رجل كان مقيمًا بمسجد فخلّف خمسين ألف درهم ، فلم يقبلها أحد ، ووضعت في المسجد تسعة أيام بحالها ، فدخل أربعة أنفس ليلًا إلى المسجد ، وأخذوها ؛ فماتوا عليها .

ويوصي الرجلُ الرجلَ ؛ فيموت الذي أوصى إليه قبل الموصي ، وخلت أكثر المساجد من الجماعات".

"البداية والنهاية" (١٨/٥٠٢-٥٠٣) سَنَةُ "٧٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِوُقُوعِ الْوَبَاءِ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ ، فَذُكِرَ عَنْ بِلَادِ "الْقِرْمِ" أَمْرٌ هَائِلٌ ، وَمَوْتَانٌ فِيهِمْ كَثِيرٌ ، ثُمَّ ذُكِرَ أَنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى بِلَادِ "الْفِرَنْجِ" حَتَّى قِيلَ : إِنَّ أَهْلَ "قُبْرُصَ" مَاتَ أَكْثَرُهُمْ ، أَوْ مَا يُقَارِبُ ذَلِكَ ، وَكَذَا وَقَعَ "بِغَزَّةَ" أَمْرٌ عَظِيمٌ فِي أَوَائِلِ هَذِهِ السَّنَةِ .

وَقَدْ جَاءَتْ مُطَالَعَةُ "نَائِبِ غَزَّةَ" إِلَى "نَائِبِ دِمَشْقَ" : أَنَّهُ مَاتَ مِنْ "يَوْمِ عَاشُورَاءَ" إِلَى مِثْلِهِ مِنْ "شَهْرِ صَفَرٍ" نَحْوٌ مِنْ "بِضْعَةِ عَشَرَ أَلْفًا" .

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ "رَبِيعِ الْأَوَّلِ" أَيْضًا ؛ كَثُرَ الْمَوْتُ فِي النَّاسِ بِأَمْرَاضِ الطَّوَاعِينِ ، وَزَادَ الْأَمْوَاتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى الْمِائَةِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَإِذَا وَقَعَ فِي أَهْلِ بَيْتٍ لَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْهُ حَتَّى يَمُوتَ أَكْثَرُهُمْ ، وَلَكِنَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى كَثْرَةِ أَهْلِ الْبَلَدِ قَلِيلٌ ، وَقَدْ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ ، وَلَا سِيَّمَا مِنَ النِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَوْتَ فِيهِنَّ أَكْثَرُ مِنَ الرِّجَالِ بِكَثِيرٍ كَثِيرٍ" .

"البداية والنهاية" (١٨/٥٠٤) سَنَةُ "٧٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "كَثُرَتِ الْأَمْوَاتُ جِدًّا فِي هَذَا الشَّهْرِ "رَبِيعٍ الْآخِرِ" مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ : "٧٤٩ مِنَ الهِجرةِ " ، وَزَادُوا عَلَى "الْمِائَتَيْنِ" فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَتَضَاعَفَ عَدَدُ الْمَوْتَى مِنْهُمْ ، وَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُ النَّاسِ ، وَتَأَخَّرَتِ الْمَوْتَى عَنْ إِخْرَاجِهِمْ ، وَزَادَ ضَمَانُ الْمَوْتَى جِدًّا ، فَتَضَرَّرَ النَّاسُ وَلَا سِيَّمَا الصَّعَالِيكُ ؛ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ عَلَى الْمَيِّتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ جِدًّا ، فَرَسَمَ نَائِبُ السَّلْطَنَةِ بِإِبْطَالِ ضَمَانِ النُّعُوشِ ، وَالْمُغَسِّلِينَ ، وَالْحَمَّالِينَ ، وَنُودِيَ بِإِبْطَالِ ذَلِكَ فِي "يَوْمِ الِاثْنَيْنِ سَادِسَ عَشَرَ رَبِيعٍ

الْآخِرِ" ، وَوُقِفَتْ نُعُوشٌ كَثِيرَةٌ فِي أَرْجَاءِ الْبَلَدِ ، وَاتَّسَعَ النَّاسَ بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ كَثُرَتِ الْمَوْتَى ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَفِي "يَوْمِ الْخَمِيسِ عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى" صَلَّى الْخَطِيبُ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ عَلَى "سِتَّةَ عَشَرَ مَيِّتًا" جُمْلَةً وَاحِدَةً ، فَتَهَوَّلَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ ، وَانْذَعَرُوا ، وَكَانَ الْمَوْتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرًا ، رُبَّمَا يُقَارِبُ الثَّلَاثَمِائَةِ بِالْبَلَدِ وَحَوَاضِرِهِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَصُلِّيَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ مَيِّتًا بِجَامِعِ دِمَشْقَ ، وَصُلِّيَ بِجَامِعِ الْخَيْلِ عَلَى إِحْدَى عَشَرَةَ نَفْسًا ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ" .

"البداية والنهاية" (١٨/٥٠٥) سَنَةُ "٧٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "فِي "مُنْتَصَفِ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ" ؛ قَوِيَ الْمَوْتُ وَتَزَايَدَ ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ .

وَمَاتَ خَلَائِقُ : مِنَ الْخَاصَّةِ ، وَالْعَامَّةِ مِمَّنْ نَعْرِفُهُمْ ، وَغَيْرِهِمْ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، وَأَدْخَلَهُمْ جَنَّتَهُ ، وَكَانَ يُصَلَّى فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ فِي الْجَامِعِ عَلَى أَزْيَدَ مِنْ "مِائَةِ مَيِّتٍ" ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَبَعْضُ الْمَوْتَى لَا يُؤْتَى بِهِمْ إِلَى الْجَامِعِ ، وَأَمَّا حَوْلَ الْبَلَدِ ، وَأَرْجَائِهَا ؛ فَلَا يَعْلَمُ عَدَدَ مَنْ يَمُوتُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ" .

"البداية والنهاية" (٥٠٦/١٨) سَنَةُ "٧٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "فِي يَوْمِ "الْجُمُعَةِ ثَانِي شَهْرِ رَجَبٍ" صُلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ "بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ" عَلَى "إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ نَفْسًا" جُمْلَةً وَاحِدَةً ، فَلَمْ يَتَّسِعْ دَاخِلُ الْجَامِعِ لِصَفِّهِمْ ؛ بَلْ خَرَجُوا بِبَعْضِ الْمَوْتَى إِلَى ظَاهِرِ "بَابِ السِّرِّ" ، وَخَرَجَ الْخَطِيبُ وَالنَّقِيبُ ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ هُنَاكَ ، وَكَانَ وَقْتًا مَشْهُودًا ، وَعِبْرَةً عَظِيمَةً ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" .

"البداية والنهاية" (٥٠٧/١٨) سَنَةُ "٧٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "وَفِي يَوْمِ "الِاثْنَيْنِ ثَانِيَ عَشَرَهُ" بَعْدَ أَذَانِ الظُّهْرِ حَصَلَ بِدِمَشْقَ ، وَمَا حَوْلَهَا : رِيحٌ شَدِيدَةٌ أَثَارَتْ غُبَارًا شَدِيدًا اصْفَرَّ الْجَوُّ مِنْهُ ، ثُمَّ اسْوَدَّ حَتَّى أَظْلَمَتِ الدُّنْيَا ، وَبَقِيَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ نَحْوًا مِنْ رُبْعِ سَاعَةٍ ؛ يَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ ، وَيَبْكُونَ ، مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَوْتِ الذَّرِيعِ ، وَرَجَا النَّاسُ أَنَّ هَذَا الْحَالَ يَكُونُ خِتَامَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الطَّاعُونِ ، فَلَمْ يَزْدَدِ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ .

وَبَلَغَ الْمُصَلَّى عَلَيْهِمْ فِي "الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ" إِلَى نَحْوِ "الْمِائَةِ وَخَمْسِينَ" ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، خَارِجًا عَمَّنْ لَا يُؤْتَى بِهِمْ إِلَيْهِ مِنْ أَرْجَاءِ الْبَلَدِ ، وَمِمَّنْ يَمُوتُ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، وَأَمَّا حَوَاضِرُ الْبَلَدِ ، وَمَا حَوْلَهَا ؛ فَأَمْرٌ كَثِيرٌ . يُقَالُ : إِنَّهُ بَلَغَ "أَلْفًا" فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" .

"السلوك لمعرفة دول الملوك" (٨٨/٤) تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ) سَنَةُ "٧٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

المقريزيُّ : "امتلأت الْمَقَابِرِ من بَاب النَّصْر إِلَى قبَّة النَّصْر طولًا وَإِلَى الْجَبَل عرضًا.

وامتلأت مَقَابِر الحسينية إِلَى الريدانية ومقابر خَارج بَاب المحروق والقرافة ، وَصَارَ النَّاس يبيتُونَ بموتاهم على الترب لعجزهم عَن تواريهم .

وَكَانَ أهل الْبَيْت يموتون جَمِيعًا وهم عشرات فَمَا يُوجد لَهُم سوى نعش وَاحِد ينقلون فِيهِ شَيْئًا بعد شَيْء .

وَأخذ كثير من النَّاس دوراً وأثاثاً وأموالًا من غير اسْتِحْقَاق لمِوْت مستحقيها.

وَبَطلَت الأفراح ، والأعراس من بَين النَّاس ، فَلم يُعرف أَن أحداً عمل فَرَحًا فِي مُدَّة الوباء ، وَلَا سُمع صَوت غناء .

وتعطل الْأَذَان من عدَّة مَوَاضِع ، وَبَقِي فِي الْموضع الْمَشْهُور بِأَذَان وَاحِد .

وغلقت أَكثر الْمَسَاجِد والزوايا. وَاسْتقر أَنه مَا ولد أحد فِي هَذَا الوباء إِلَّا وَمَات بعد يَوْم أَو يَوْمَيْنِ وَلَحِقتهُ أمه".

"العبر في خبر من غبر" (١٤٩/٤) لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) سَنَةُ "٧٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

الذهبيُّ : "في أواخر "صفر" من هذا العام :

كان الطاعون العام بأقطار البُلدان ، وامتد إلى "أواخر المحرَّم" من العام القابل ، فقيل : مات بالقاهرة ، ومصر في اليوم الواحد نحو "أحد عشر ألف" نفس .

وأما دمشق : فأكثر ما ضبط فيها في اليوم "أربعمائة" نفس".

"بذل الماعون في فضل الطاعون" (ص ٣٦٨) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) سنةُ "٧٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ حجرٍ : "كان الطاعون العام ، ولم يُعهد نظيره فيما مضى ، فإنه طبَق الأرض ؛ شرق الأرض وغربها ، ودخل "مكة المشرفة ؛ كما سيأتي" .

ثم ذكرَ ابنُ حجرٍ (ص ٣٧٩-٣٨٠) فقالَ :

"قرأت في كتاب الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة ، في وصف الطاعون الكبير :

"منها : أن الطاعون الذي وقع في سنة تسع وأربعين وأربع مائة ؛ عمّ الأرض ، فساواه هذا في ذلك ، ولم يتفق ذلك في غيهما.

ومنها : أن مكة لم يدخلها الطاعون قطٌّ ؛ إلا هذه المرة ، فمات بها خلق كثير من أهلها والمجاورين بالطاعون ، وتواتر النقل بذلك .

ومنها : أنه مات فيه : الطيور والوحوش والغزلان ، والكلاب ، والقِطاط ، ولم يسلم منه في هذا العام من مدن الأرض كلها ؛ غير مدينة النبي ﷺ .

ومنها : أن مَن مات فيه – على سبيل التقريب – نصف الموجودين من العالم الحيواني .

وبلغ الموت بالقاهرة في كل يوم عشرين ألفاً . وقيل : خمسة وعشرين ألفاً . وقيل : سبعة وعشرين ألفاً .

قلتُ : ذكر ابن كثير في "تاريخه" : أن من الناس في أمر القاهرة المقلل والمكثر ؛ فالمقلل ، يقول : أحد عشر ألفاً ، والمكثر ، يقول : ثلاثون ألفاً". انتهى" .

تنبيهٌ : نقل ابن حجر عن ابن أبي حجلة ، أن السنة هي : "٤٤٩" هكذا قال : "أربع مائة" ، بينما ابن حجر ذكر الطاعون أعلاه سنةُ "٧٤٩" ، فلا شك أن قوله : "أربع مائة" خطأ ،

وذلك من وجوهٍ :

الأول : أن وصف ابن كثير لعدد القتلى في القاهرة ؛ يتطابق مع حديث ابن كثير في طاعونِ "٧٤٩" في القاهرة .

الثاني : ويتطابق مع كلام ابن عماد الحنبلي الآتي في طاعون "٧٤٩" ، أنه : "لم يُسمع بمثله ، ومات فيه نصف الناس حتى الطّيور ، والوحوش ، والكلاب".

الثالث ، والقاطع للنزاع في أن الطاعون وقع في "٤٤٩" ؛ خطأ ، هو : أن ابن حجر نفسه قال في "الفتح" (١٠/١٩٠) قال :

"نَقَلَ جَمَاعَةٌ : أَنَّهُ — أيْ : الطّاعون - دَخَلَ مَكَّةَ ؛ فِي الطَّاعُونِ الْعَامِّ الَّذِي كَانَ فِي سَنَةِ "٧٤٩" بِخِلَافِ الْمَدِينَةِ ، فَلَمْ يَذْكُر أَحَدٌ قَطُّ : أَنَّهُ وَقَعَ بِهَا الطَّاعُونُ أصلًا".

قالَ جامِعُهُ :

فلعلَّ الخطأَ مِنَ الناسِخِ ، أو المحقِّقِ لكتابِ "بذل الماعون" .

واللهُ أعلمُ .

"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" (٨/٢٧١) لابن عماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) سنةُ "٧٤٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ : "فيها : كان الطّاعون العام الذي لم يسمع بمثله ، عمّ سائر الدنيا ، حتّى قيل : إنه مات نصف الناس حتى الطّيور ، والوحوش ، والكلاب ، وعمل فيه ابن الوردي مقامة عظيمة ، ومات فيه" .

"البداية والنهاية" (١٨/٥١١) سَنَةْ "٧٥٠ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "فِي هَذِهِ السَّنَةِ – وَلِلَّهِ الْحَمْدُ – : تَقَاصَرَ أَمْرُ الطَّاعُونِ جِدًّا ، وَنَزَلَ دِيوَانُ الْمَوَارِيثِ إِلَى "الْعِشْرِينَ" وَمَا حَوْلَهَا بَعْدَ أَنْ بَلَغَ "الْخَمْسَمِائَةٍ" فِي أَثْنَاءِ "سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ" ؛ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَرْتَفِعْ بِالْكُلِّيَّةِ .

فَإِنَّ فِي "يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعِ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ" تُوُفِّيَ الْفَقِيهُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الثِّقَةِ ، هُوَ وَابْنُهُ وَأَخُوهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ بِهَذَا الْمَرَضِ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا ، وَدُفِنُوا فِي قَبْرٍ ، وَاحِدٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ .

وَفِي "يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ" تُوُفِّيَ صَاحِبُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَابِدُ الزَّاهِدُ النَّاسِكُ الْخَاشِعُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ الصَّائِغِ الشَّافِعِيُّ ، مُدَرِّسُ الْعِمَادِيَّةِ" .

"العبر في خبر من غبر" (٢٠٢/٤) سَنَةُ "٧٦٤ مِنَ الْهِجْرَةِ"

الذهبيُّ : "في هذا العام : وقع الطاعون العام ، وكان ابتداء وقوعه بدمشق في شعبان" .

"البداية والنهاية" (٦٧٧/١٨) سَنَةُ "٧٦٤ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ كثيرٍ : "وَقَعَ وَبَاءٌ فِي مِصْرَ فِي أَوَّلِ شَعْبَانَ فَتَزَايدَ ، وَجُمْهُورُهُ فِي الْيَهُودِ ، وَقَدْ وَصَلُوا إِلَى "الْخَمْسِينَ" فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ .

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ : تَفَاقَمَ الْحَالُ بِسَبَبِ الطَّاعُونِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَجُمْهُورُهُ فِي الْيَهُودِ ، لَعَلَّهُ قَدْ فُقِدَ مِنْهُمْ مِنْ مُسْتَهَلِّ "شَعْبَانَ" إِلَى مُسْتَهَلِّ "رَمَضَانَ" نَحْوَ "الْأَلْفِ نَسَمَةٍ" خَبِيثَةٍ ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الْقَاضِي صَلَاحُ الدِّينِ الصَّفَدِيُّ وَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ فِيهِمْ فِي "شَهْرِ رَمَضَانَ" جِدًّا ، وَغَدَتِ الْعِدَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالذِّمَّةِ ثَمَانِينَ" .

"إنباء الغمر بأبناء العمر" (٢/٤٢، ٤٣) لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) سنةُ "٧٨٣ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ حجرٍ : "فيها : ابتدأ الطاعون بالقاهرة ، فأول من مات من الأمراء : "أيدمر الشمسي" .

وفيها تزايد الطاعون في "صفر" ، وتناهى في أواخر ربيع الأول".

"شذرات الذهب" (٤٨٧/٨) سنةُ ٧٨٤ "مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ : "فيها : وقع الطّاعون بدمشق ، وتزايد في "صفر" ثم تناقص" .

"شذرات الذهب" (٥٠٧/٨) سنةُ ٧٨٧ "مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ : "فيها : كان الطّاعون العظيم بحلب ، بلغت عِدة الموتى فيه في كل يوم "ألف" نفس" .

"إنباء الغمر بأبناء العمر" (٢٩٠/٢-٢٩١) سنةُ ٧٩٠ "مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ حجرٍ : "في ربيع الأول : تزايد الموت بالأمراض الحادة ، والطاعون حتى بيعت البطيخة من الصيفي "بخمسين درهماً" قيمتها يومئذ "دينارين" ، وكان أكثر الموت في "المماليك السلطانية" حتى زاد كل يوم على "عشرين نفساً" منهم ، وكان وقتاً عظيماً ، فارتفع

الوباء في "ثاني جمادى الآخرة" بعد أن بلغ في كل يوم "ثلاثمائة" نفس" .

"النجوم الزاهرة " (٢٥١/١١) سنةُ "٧٩٠ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ تغري بردي : "فشا الطاعون بالقاهرة ، ونواحيها في شهر "ربيع الأوّل" من سنة "تسعين وسبعمائة" ، واشتغل الناس بمرضاهم ، وأمواتهم عن غيره".

"حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة" (٣٠٧/٢) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) سنةُ "٧٩٠ مِنَ الْهِجْرَةِ"

السيوطيُّ : "في سنة تسعين أصاب الحاج في رجوعهم عند ثغرة حامد سيل عظيم، أهلك خلقًا كثيرًا. وفي هذه السنة وقع الطاعون بالقاهرة" .

شذرات الذهب" (٥٧٦/٨) سنةُ "٧٩٥ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ : "فيها : وقع الفناء بالإسكندرية ، فيقال : مات في مدة يسيرة "عشرة آلاف" .

وفيها : كان الطّاعون الشّديد بحلب ، بلغت عِدة الموتى كلّ يوم "خمسمائة" نفس ، وأكثر" .

"إنباء الغمر بأبناء العمر" (١٦/٦) سنة "٨٠٩ مِنَ الهِجرةِ"

ابنُ حجرٍ : "في رمضان : وقع الطاعون بالقاهرة ، وفشا الموت ، واستمر إلى آخر السنة" .

"حسن المحاضرة " (٣٠٨/٢) سنةُ "٨١٠ مِنَ الْهِجْرَةِ"

السيوطيُّ : "في سنة "عشر وثمانمائة" ، وقع الطاعون بالديار المصرية" .

"حسن المحاضرة" (٣٠٩/٢) سنةُ "٨١٦ مِنَ الْهِجْرَةِ"

السيوطيُّ : "في – هذه سنة– فشا الطاعون بمصر".

"إنباء الغمر بأبناء العمر" (١٦٤/٧) سنة "٨١٨ مِنَ الهِجرةِ"

ابنُ حجرٍ : "وفي المحرم في هذه السنة : ابتدأ الطاعون بالقاهرة ، وتزايد في "صفر" حتى بلغ في "ربيع الأول" في كل يوم : "ثمانين نفساً" ، ثم ارتفع في ربيع الآخر" .

حسن المحاضرة" (٣٠٩/٢) سنة "٨١٨ و ٨١٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

السيوطيُّ : "في — هذه سنة – : كان الطاعون بالقاهرة .

وفي سنة "تسع عشرة وثمانمائة" : كان الطاعون بالقاهرة ، وكثر الوباء بالصعيد ، والوجه البحري" .

"إنباء الغمر بأبناء العمر" (٧/٢٠٦-٢٠٧) سنةُ "٨١٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ حجرٍ : "ابتدأ الطاعون بالقاهرة ، فبلغ في "نصف صفر" ؛ كل يوم : "مائة نفس" ، ثم زاد في آخره : "مائتين" ، وكثر ذلك حتى كان يموت في الدار الواحدة ؛ أكثر من فيها .

وكثر الوباء : بالصعيد ، والوجه البحري ، حتى قيل : إن أكثرهم هلكوا . وفي طرابلس – الشام – : حتى قيل : إنه مات بها في "عشرة أيام عشرة : آلاف نفس" ، وبلغ عدد الأموات بالقاهرة في "ربيع الأول" : "ثلاثمائة في اليوم" ، ثم في نصفه بلغوا : "خمسمائة" ، وفي التحقيق – أي: في الحقيقة – : بلغوا "الألف" ؛ لأن الذين يُضبطون إنما هم : من يَرِد الديوان ، وأما من لا يرده ؛ فكثير جداً .

وماتت ابنتاي – المتكلم : ابن حجر– : "غالية وفاطمة" ، وبعض العيال ، وكان كل من طعن – أي : أصابه الطاعون – ؛ مات عن قرب ؛ إلا النادر .

وإن أهل "فاس" – في بلاد البربر "المغرب العربي"– ، أحصوا من مات منهم في "شهر واحد" ، فكان : "ستة وثلاثين ألفاً" ، حتى كادت البلدان تخلو من أهلها .

ثم ابتدأ الموت في النقص من "نصف ربيع الأول" إلى أن انتهى في "أول ربيع الآخر" إلى "مائة وعشرين" ، ثم بلغ في "تاسعه" إلى "ثلاثة وعشرين" .

وتزايد الموت بدمشق ، وكان ابتداؤه عندهم في : "ربيع الأول" ، فبلغت عدة من يموت في "ربيع الآخر" في اليوم : "ستين نفساً" ، ثم بلغ "مائتين" في أواخره ، ثم كثر في "جمادى الآخرة" بها .

وكذلك وقع في : "القدس ، وصفد" ، وغيرها ، ثم ارتفع في آخر "ربيع الآخر" ، فنزل في "الثالث والعشرين" منه إلى : أحد عشر نفساً".

شذرات الذهب" (١٩٨/٩) سنةُ "٨١٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ : "استهلت والغلاء والطّاعون باقيين زائدين بمصر وطرابلس ، حتى قيل : مات بطرابلس في "عشرة أيام عشرة آلاف نفس" .

وتواتر انتشار الطّاعون في البلاد ، حتّى قيل : إن أهل أصبهان ؛ لم يبق منهم إلّا النّادر .

وأن أهل فاس : أحصوا من مات منهم في "شهر واحد" ؛ فكانوا "ستة وثلاثين ألفاً" ، حتى كادت البلدان تخلو من أهلها" .

شذرات الذهب" (١٩٨/٩) سنةُ "٨٢٥ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ : "فيها : كان الطّاعون الشديد بحلب ، حتّى خلال أكثر البلد من الناس" .

"إنباء الغمر بأبناء العمر" (٨/١٩٩-٢٠١) سنةُ "٨٣٣ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ حجرٍ : "في ذي القعدة : اشتهر أمر الطاعون في "الوجه البحري" ، فيقال : مات بالمحلة "خمسة آلاف" نفس وبالبحرارية "تسعة آلاف" ، ومات في الإسكندرية في كل يوم "مائة وخمسون" إلى غير ذلك .

وعُدَّ هذا من النوادر ؛ لأنه وقع في قوة الشتاء ، وكان قبل ذلك قد فشا في "برصا" وغيرها من بلاد الروم حتى بلغ عدد من يموت في اليوم زيادة على "الألف" على ما قيل .

فلما استهل "ربيع الآخر" كان عدة من يموت بالقاهرة "اثنتي عشرة" نفساً ، وفي آخره قاربوا "الخمسين" .

وفي أول يوم من "جمادى الأولى" بلغوا "مائة" ، فنودي في الناس "بصيام ثلاثة" أيام ، وبالتوبة ، وبالخروج إلى الصحراء في اليوم الرابع .

وخرج الشريف كاتب السر والقاضي الشافعي وجمع كثير من بياض الناس وعوامهم ، فضجوا ، وبكوا ، ودعوا ؛ وانصرفوا قبل الظهر ، فكثر فيهم الموت أضعاف ما كان .

وبلغ في اليوم "ثلاثمائة" بالقاهرة خاصة سوى من لا يرد الديوان .

ووجد بالنيل ، والبِرَكِ شيء كثير من : الاسماك ، والتماسيح موتى طافية ، وكذا وجد في البرية : عدة من الظباء ، والذئاب .

مِمّا وقعَ فيهِ مِن النوادرِ :

أن مركباً ؛ ركب فيها : أربعون نفساً قصدوا الصعيد ، فما وصلت إلى الميمون ؛ حتى مات الجميع .

وإنّ "ثمانية عشر" صياداً اجتمعوا في مكان ، فمات منهم في يوم واحد : "أربعة عشر" ، فجهزهم الأربعة ، فمات منهم وهم مشاة : "ثلاثة" .

فلما وصل الآخر بهم إلى المقبرة ؛ مات .

وبلغ في سلخ – أي : آخر– "جمادى الأولى" : إلى "ألف وثمانمائة" .

وفي "رابع جمادى الأولى" : بلغت عِدة الموتى بالقاهرة خاصة في اليوم : "ألف نفس ومائتي نفس" ، ووقع الموت في مماليك السلطان حتى زاد في اليوم على "خمسين" نفساً منهم .

وانتهى عدد من صُليَ عليه في اليوم "خمسمائة وخمسين" نفساً ، وضبط جميع المصليات في يوم ؛ فبلغت "ألفي نفس ومائتين وستاً وأربعين" نفساً .

ووقع الموت في السودان بالقرافة ، إلى أن مات منهم ما نحو : "ثلاثة آلاف" ، وعز وجود حَمَّالي الموتى ، وغساليهم ، ومن يحفر القبور ؛ حتى عملوا حفائر كباراً ؛ كانوا يلقون فيها الأموات ، وسرق كثير من الأكفان ، ونبشت الكلاب كثيراً ، فأكلتهم من أطراف الأموات .

ووصل في الكثرة حتى شاهدت النعوش من مصلى "المؤمني" إلى باب "القرافة" كأنها الرخم البيض ؛ تحوم على القتلى ، وأما الشوارع : فكانت فيها ؛ كالقطارات ، يتلو بعضها بعضاً".

"بذل الماعون" (ص ٣٦٩) سنةُ "٨٣٣ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ حجرٍ : "في سنةِ "٨٣٣ مِنَ الهِجرةِ ، وهو أوسع هذه الطواعين كلها واقطعها ، ولم يقع بالقاهرة ومصر بعد الطاعون العام الذي كان في سنة " ٧٤٩ مِنَ الهِجرةِ " ؛ نظير هذا" .

شذرات الذهب" (١٩٨/٩) سنة "٨٣٩ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ : "فيها : وقع ببرصا – بُرْصَا أو بُرسا ؛ شرقي بلاد مران – طاعون عظيم واستمر "أربعة أشهر" .

وفيها : وقع الوباء ببلاد "كرمان" ، وفشا الطّاعون "بهراة" — مدينة بخراسان "في افغانستان اليوم"– ، حتّى قيل : إن عِدّة من مات بهراة "ثمانمائة ألف" .

وكذلك فشا الوباء في بلاد اليمن جميعها ، وفي بلاد البربر والحبشة" .

شذرات الذهب" (٩/٣٤٦) سنة "٨٤١ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ الحنبليُّ : "فيها : وقع الطّاعون في نصف الشتاء في البلاد الشامية ، فكثر : بحماة ، وحمص ، وحلب ، ثم تحول إلى دمشق في أواخر الشتاء ، ثم اتصل بالبلاد المصرية" .

قالَ جامِعُهُ :

يتطابقُ هذا التوقيتُ معَ وقتِ "فيروس كرونا" اليومَ ، الذي ينتشرُ في الشتاءِ في هذا العامِ ١٤٤١هـ الموافقِ ٢٠٢٠م .

وقالَ بعضُ أهلِ الاختصاصِ اليومَ : أنهُ يتناقَصُ أو يَقِلُّ ويَتلاشى عِنْدَ دُخولِ وَقْتِ الصيفِ والخريفِ . واللهُ أعلمُ .

وقَد يَتلاقى كلامُهُم اليومَ مَعَ ما أخبرَ عنهُ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ قبلَ "سبعِ مائةِ سنةٍ" : أنَّ الطواعينَ في ذلك العصرِ ترتفعُ في الصيفِ وقارَنَ بينَها وبينَ طاعونِ سنة "٨٣٣ مِنَ الهِجرةِ " ، حيث قالَ ما نصُّهُ :

"أنه وقع في الشتاء وارتفع في الربيع ، وكانت الطواعين الماضية تقع في فصل الربيع ، بعد انقضاء الشتاء ، وترتفع في أول الصيف" . "بذل الماعون في فضل الطاعون" (ص ٣٦٩) .

"النجوم الزاهرة" (١٥/٢٦) سنة "٨٤١ مِنَ الهِجرةِ"

ابنُ تغري بردي : "في يوم "الثلاثاء أول شهر رمضان" : ظهر الطاعون بالقاهرة ، وظواهرها ، وأول ما بدأ في : "الأطفال ، والإماء ، والعبيد ، والمماليك" . وكان الطاعون أيضاً : قد عمّ البلاد الشامية بأسرها".

شذرات الذهب" (٣٨١/٩) سنةُ "٨٤٨ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ الحنبليُّ : "فيها كان بالقاهرة الطّاعون العظيم بحيث كان يخرج في اليوم الواحد ما يزيد على الألف".

"حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور" (١٨٣/١) ليوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) سنة "٨٥٢ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ تغري بردي : "في يوم "الثلاثاء ثالثه ذو القعدة" توفي الشريف أحمد النعماني .

وفيه : ظهر الطاعون بالديار المصرية" .

"حوادث الدهور" (٢٠١/١) "سنة ٨٥٣ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ تغري بردي : "في "التاسع من المحرم" جاوز تعريف الأموات : "المائة" كل يوم .

وفي يوم "الأحد رابع عشرة" ؛ توفي : شهاب الدين الهيتي أحد الطلبة .

وفي يوم "الاثنين خامس عشرة" ؛ توفي : شهاب الدين المسطيهي أحد نواب الحكم .

وبلغ التعريف في هذا اليوم : "مائة وستة عشر" .

وجاوزت مصلاة "باب النصر" وحدها : "مائة" ، والتعريف لا عبرة به أيام الطاعون .

وفي "المحرم يوم الثلاثاء سادس عشرة" ، بلغ التعريف : "مائة وأربعة عشر" .

وفي الذي يليه : مائة واثنين وثمانين" .

"حوادث الدهور"(١/٢٠٢- ٢٠٣)"سنة ٨٥٣ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ تغري بردي : "صفر أوله الأربعاء ، فيه : عظم الطاعون بالديار المصرية فكان عِدة من يموت فيه زيادة على : "ألف" تقريباً ، ولا عبرة بمن يرد منهم الديوان ، فان غالب الناس إذا اشتد الطاعون ؛ لا يطلقون أمواتهم ، بل يأخذون من توابيت الأوقاف ؛ فلهذا كون التعريف في الوباء لا عبرة به .

وفي يوم "الأربعاء" هذا ؛ توفي : سيدي أحمد ولد السلطان .

وفي يوم "الخميس" ثانيه ؛ توفي : العلاء الكرماني شيخ سعيد السعداء .

وفي يوم "الاثنين سادسه" ؛ توفي : الشريف حسن بن على المعزول عن نقابة الأشراف ، والبرهان إبراهيم بن ظهير ناظر الإسطبل .

وفي "أول هذا الشهر" ؛ توفي : الشريف علي بن حسن بن علان المعزول عن إمرة مكة بثغر دمياط وورد الخبر بموته في يوم "الجمعة عاشرة" .

وفي يوم "الجمعة" المذكورة : توفي أمير سلاح .

وفي يوم السبت حادي عشرة توفي : جماعة من الأعيان ، وهم :

ابنة السلطان التاسعية شقيقة أحمد الماضي قريباً .

وابنه الخليفة المستكفي بالله .

والناصري محمد بن طوغان الحسنى الدوادار في الدولة الناصرية المؤيدية .

وخازندار الكمال ابن البارزي .

فكان هذا اليوم من الأيام المهولة تحير فيه أعيان الدولة إلى أي جناز تتوجه .

وفي يوم "الاثنين ثالث عشرة" توفي : البدر ابن التنسي قاضي المالكية بمصر .

وفي يوم "الأربعاء خامس عشرة" ؛ توفي : ازبك الساقي الظاهري جقمق" .

"حوادث الدهور" (١/٢٠٤-٢٠٦) "سنة ٨٥٣ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ تغري بردي : "في يوم "الجمعة سابع عشرة" ؛ توفي : كل من الولي أبي الدين محمد ابن قاسم ، وإسماعيل بن عمر الهواري بالقاهرة .

وفي يوم السبت ثامن عشرة توفي : سيدي محمد ابن السلطان الخماسي ، وأمه أم ولد ، وقرا قجا الحسني أمير آخور كبير .

ثم توفي : ولده ، وكان يقارب عشرين .

وفي يوم الأحد توفي : جانم الظاهري جقمق الدوادار المعروف بجانم خمسمائة ، وخوند فاطمة ابنة السلطان الخماسية ، وأمها أم ولد .

وفي يوم "الاثنين عشرينه" ؛ تناقص الطاعون نقصاً ظاهراً ، بل كان تناقص قبل ذلك بأيام ، ولكن فشا فيه النقص ، ومع ذلك ؛ فيموت كل يوم خلائق . نسأل الله الموت على الإسلام .

وفي ليلة "الاثنين عشرينه" ؛ توفي : الشريف أبو القسم بن حسن ابن عجلان المعزول عن إمرة مكة .

وفي يوم "الثلاثاء حادي عشرينه" توفيت : زوجة السلطان .

وفي يوم "الأربعاء ثاني عشرينه" ؛ توفي : سيدي محمد ولد السلطان السداسي ، وأمه أيضاً أم ولد ، وبختك الناصري أحد أمراء العشرات .

وفي يوم "الأحد سادس عشرينه" ؛ توفي : السيفي بردبك الخاصكي الظاهري جقمق .

وفي يوم "الأربعاء تاسع عشرينه" ؛ توفي : تمرباص التمربغاوي رأس نوبة النوب ، وزوجة الكمال ابن البارزي ؛ وهي ابنة الأمير ناصر الدين محمد ابن العطار ، وكانت من خيار نساء عصرها دينا وعبادة وبراً ؛ رحمها الله .

ومحمد بن الزيني عبد الباسط وسِنُّه نحو العشرين سنة ، وهو ثالث ولد مات لأبيه في هذا الباء" .

"النجوم الزاهرة" (١٥/٣٨٩- ٣٩٢) سنة "٨٥٣ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ تغري بردي : "فشا أمر الطاعون بالقاهرة ، وتزايد ، ثم أهلّ "صفر" من سنة "ثلاث وخمسين وثمانمائة" ، يوم "الأربعاء" ، فيه : عظم الطاعون ، ومات في هذا الشهر جماعة كبيرة من الأمراء ، وأعيان الدولة .

ويوم "الأحد ثاني عشر صفر" : موت برهان الدين بن ظهير .

وفى يوم "الاثنين ثالث عشره" : موت الأمير تمراز القرمشي الظاهري .

ثم في يوم "الخميس سادس عشر صفر" : موت إينال اليشبكي .

ثم في يوم "الاثنين عشرين صفر" ؛ تناقص الطاعون .

ثم في يوم "الثلاثاء ثامن عشرين صفر" : وفاة قاضى القضاة بدر الدين محمد بن التنسي . وجميع من ذكرنا وفاته هنا ؛ ماتوا بالطاعون .

وفى أواخر هذا الشهر ؛ قلّ الطاعون بالقاهرة ، بعد أن مات بها خلائق كثيرة.

فكان من جملة من مات للسلطان ، فقط : "أربعة أولاد" من صلبه ، حتى لم يبق له ولد ذكر ، غير المقام الفخري عثمان" .

"حوادث الدهور" (٢٠٧/١) سنة "٨٥٣ مِنَ الْهِجْرَةِ" شهر ربيع الأول

ابنُ تغري بردي : "في يوم الثلاثاء سادسه توفي : الزيني عبد الرحمان بن عبد الرحيم ابن الحاجب .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرة توفي: الشهابي أحمد بن البدر ابن مزهر .

وفي هذه الأيام ؛ قل الطاعون بالقاهرة ، وكثر بضواحيها" .

"النجوم الزاهرة" (١٣٧/١٦- ١٤٤) سنةُ "٨٦٤ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ تغري بردي : "في هذه الأيام : فشا الطاعون بالقاهرة ، وكان عدّة من ورد اسمه الديوان من الأموات في يوم "الثلاثاء تاسع عشر شهر ربيع الآخر": "خمسة وثلاثين" نفراً ، وذلك خارج عن

البيمارستان المنصوري ، والأوقاف ، والقرافتين ، والصحراء ، وبولاق ، ومصر القديمة .

وأمّا ضواحي القاهرة ، وإقليم الشرقية والغربية من الوجه البحري ؛ فقد تزايد الطاعون فيها حتى خرج عن الحد ، وهو إلى الآن في زيادة .

وكان أمر الطاعون في القرى أنه إذا وقع بقرية ؛ يفنى غالب من بها .

ثم ينتقل إلى غيرها وربما اجتاز ببعض القرى ولم يدخلها .

فسبحانه يفعل في ملكه ما يريد !

وفي يوم "الخميس ثالث جمادى الآخرة" : عظم الطاعون بالقاهرة ، وظواهرها ، واختلفت كلمة الحُسّاب ؛ لاشتغال كل أحد بنفسه وبمن عنده ، فمنهم من قال : يموت في اليوم "أربعة آلاف" إنسان، ومنهم من قال : "ثلاثة آلاف وخمسمائة" .

وقاس صاحب القول الثاني على : عدّة من صلّى عليه في هذا اليوم المذكور بمصلاة "باب النصر" ، وقال : إن كل مائة ميت بمصلاة "باب النصر" : بثلاثمائة وستين ميتاً .

وجاءت مصلاة "المؤمني" في هذا اليوم : "أربعمائة وسبعة عشر" ميتاً ، وهذا كله تقريبا لا تحريرا على الأوضاع .

وفي يوم "الجمعة حادي عشرة" ؛ كان فيه التعريف : "مائتين وثمانين" ، وجاءت مصلاة "باب النصر" على حِدَتِها : "خمسمائة وسبعين" .

وفي يوم "الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة" ؛ كان فيه التعريف ، نحو : "ثلاثمائة" إنسان ، منهم مماليك "خمسة وسبعون" ، منهم "خمسة وثلاثون" من مماليك الأمراء وغيرهم ، ومن بقى سلطانية .

وأما الذي ضُبط في هذا اليوم ممن صلى عليه من الأموات باثنتى عشرة مصلاة: "أربعة آلاف" إنسان.

مصلاة "باب النصر" وحدها جاءت في هذا اليوم : "خمسمائة وسبعين" .

ومصلاة "البياطرة" : "أربعمائة وسبعين" .

وجامع الأزهر: "ثلاثمائة وستة وتسعين" ، فمجموع هذه المصليات الثلاث من جملة سبع عشرة مصلاة أو أكثر: "ألف وأربعمائة وستة" نفر .

وهذا خارج عن : "القرافتين ، والحسينية ، والصحراء ، وبولاق ، ومصر القديمة" ، إلا أن غالب من يموت : صغار ، وعبيد ، وجوار .

غير أن هذا الطاعون ؛ كان أمره غريباً ، وهو :

أن الذي يَطعن فيه ؛ قلّ أن يسلم ، حتى قال بعضهم : لعل إنّ من كل "مائة" مريض ؛ يسلم "واحد" ، فأنكر ذلك غيره ، وقال: ولا كل ألف" .

"النجوم الزاهرة" (١٦/١٤٥) سنةُ "٨٦٤ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابن تغري بردي : "في يوم "الأربعاء سادس عشره جمادى الآخرة" – الموافق "لرابع عشر برمودة"- ؛ ارتفع الوباء من بولاق ، وكان الذي مات بها في اليوم : "ثلاثة" نفر . وقيل : "سبعة . وقيل : "عشرة" .

هذا بعد أن كان يموت في اليوم : "ثلاثمائة وأربعمائة" ، ويقول المكثر "خمسمائة" .

فسبحانه وتعالى فاعلاً مختاراً ، يفعل في ملكه ما يشاء !

وأخذ الطاعون في هذه الأيّام يخف من ظواهر القاهرة ، مثل : الحسينيّة وغيرها ، وعظم في القاهرة ، وما حولها من جهة : الصّليبة ، والقلعة ، وقناطر السّباع ، وكان الذي مات من المماليك الأجلاب الإيناليّة في هذا الطاعون – إلى يوم "الجمعة تاسع عشر

جمادى الآخرة"- : "ستمائة" مملوك و "ثلاثين" مملوكاً . إلى لعنة الله وسقر ، إلى حيث ألقت .

وفي يوم "الاثنين حادي عشرين جمادى الآخرة" - الموافق "لتاسع عشر برمودة" ، وهو أول خمسين النصارى- ، فيه : ظهر نقص الطاعون بالقاهرة ، وكان ابتداء النقص من يومي "الخميس والجمعة" .

وفي يوم "الاثنين" ؛ كان عدة من صلى عليه بمصلاة "باب النصر" : "ثلاثمائة وخمسين" إنساناً ، وبجامع الأزهر : "ستمائة" إنسان ، وهو أكثر ما وصل إليه العِدة بالجامع المذكور ؛ لأن غالب الطاعون الآن هو بالقاهرة .

وكان عِدّة من صُليَ عليه بمصلاة "البياطرة" : "مائتين وأربعة" ، وهو بحكم النصف مما كان صلى عليه بها قبل ذلك .

وكان عِدّة من صُليَ عليه بمصلاة "المؤمني" : "مائتين وثمانين" نفراً ، وهو أقل من النصف أولا" .

"النجوم الزاهرة" (١٦/١٤٦) سنةُ "٨٦٤ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ تغري بردي : "يوم الخميس "ثامن عشرينه" ؛ كان فيه عِدّة من صُليَ عليه بمصلاة "باب النصر" : "مائة وتسعين" .

وبالجامع الأزهر زيادة على : "مائة وثلاثين" .

وبمصلاة "البياطرة" : "مائة وأربعة عشر".

وبمصلاة "المؤمني": "مائة وسبعة وثلاثين" .

وفي يوم "الأربعاء تاسع شهر رجب" ، فيه : فشا نقص الطاعون ، وانحط سعر الغلال .

وفيه : طُعن جامعه – يعني: نفسه ابن تغري بردي- ، ثمّ منّ الله تعالى بالعافية بعد أمور ، ولله الحمد على المهلة .

ثم في يوم "الاثنين سادسه" ؛ كان فيه : عِدّة من صُليَ عليه من الأموات بمصلاة "باب النصر" : "مائة" . وقيل "تسعين" .

وبمصلاة "البياطرة" : زيادة على "الخمسين" .

وبمصلاة "المؤمني" : زيادة على "التسعين" .

ثم في يوم "السبت حادي عشره" : موت يشبك الأشرفي الأشقر .

ثم في يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب؛ كان فيه: عِدّة من صُليَ عليه من الأموات بمصلاة "باب النصر" نحواً من : "خمسة وعشرين" نفراً .

وبمصلاة "البياطرة" : "ثلاثة وعشرين" .

وبالجامع الأزهر : "خمسة" نفر .

وبمصلاة "المؤمني" : "نيفاً وثلاثين" نفراً .

هذا والعلة موجودة في الأكابر ، والأعيان إلى آخر رجب ، وفيه : موت القاضي زين الدين عبد الرحيم العينيّ" .

"النجوم الزاهرة" (١٤٧/١٦) سنةُ "٨٦٤ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ تغري بردي : "واستهل شعبان يوم الخميس وقد خفّ الطاعون من الديار المصرية بالكلية ، فكان عِدّة من مات في هذا الطاعون من المماليك الأجلاب الإينالية ، فقط :

"ألفاً وأربعمائة" نفر- فالله يلحق بهم من بقى منهم- ، وهذا خلاف من مات في هذا الطاعون من المماليك السلطانية الذين هم من سائر الطوائف".

"شذرات الذهب" (٤٤٦/٩) سنةُ "٨٦٤ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ الحنبليُّ : "فيها : كان الطّاعون العظيم "بغزّة" ، ثم الشام والقدس ، ومات فيه من لا يحصى" .

شذرات الذهب" (٩/٤٤٦) سنةُ "٨٩٧ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ الحنبليُّ : "فيها : كان الطّاعون العام العجيب ، الذي لم يسمع بمثله ، حتى قيل : إن ربع أهل الأرض ماتوا به" .

شذرات الذهب" (٩/٤٤٦) سنةُ "٨٩٨ مِنَ الْهِجْرَةِ"

ابنُ عمادٍ الحنبليُّ : "كان : فيها الطّاعون العجيب ببُرْسا – بُرْصا –واحترق نحو نصفها أيضاً" .

الوَباءُ في بِلادِ نَجْدٍ ومَا جَاوَرَها في العَهْدِ السُّعُوديِّ

"تذكرة أولي النهى والعرفان" (٢/٢٥٦) لإبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "سنةُ ١٣٣٧هـ كانت سنة غير عادية إذ تفشى فيها الوباء وحصد أرواح مئات الألوف من البشر وعم كافة أرجاء الجزيرة العربية بل العالم بأسره ، ولم يسلم منه إلا القليل ، يقول الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن :

"وكان عاماً في : نجد ، والأحساء ، والعراق ، وجميع المدن على الخليج العربي" .

"خزانة التواريخ النجدية" لعبد الله بن عبد الرحمن البسام "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "يقول إبراهيم بن محمد القاضي : "وفي هذه السنة أوقع الله بالجزيرة العربية كلها : البادية ، والحاضرة ؛ مرض ،

وانتقصت الجزيرة بنفوس عديدة..

مبتدأه من جنوب ؛ من جهة الأحساء ، وأشمل إلى عنزة والأسلم" .

العرفج : "من شدة هول هذا الوباء ؛ أطلق الأجداد على هذه السنة التي انتشر فيها المرض بسنة : "الرحمة" ، وسنة : "الصخونة" .

وفسر بعض الباحثين سبب هذه التسمية ؛ لكثرة الترحم على الموتى ، ولأنه هذا الوباء كان يصاحبه ارتفاع كبير في درجة حرارة المريض .

"شرح رياض الصالحين" (١٧٨/١) لمحمد بن صالح العثيمين

العرفج : "يقول الشيخ : "ولقد حُدّثنا : أنه حدث في هذه البلاد – أي البلاد النجدية – حدث فيها وباء عظيم تسمى سنته عند العامة سنة الرحمة" .

"تاريخ نجد الحديث" (ص ٢٦٥) لأمين الريحاني "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "يقول : "تدعى هذه السنة في نجد : سنة "الرحمة" ، وهي الوافدة "الإسبانية" التي غزت العالم بعد الحرب" .

"تذكرة أولي النهى والعرفان" (٢٥٦/٢) لإبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "يقول الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن : "هذه السنة يؤرِخ بها أهل نجد ويعرفونها بسنة (الرحمة)" .

(خزانة التواريخ النجدية) لعبد الله بن عبد الرحمن البسام "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "ويقول الشيخ إبراهيم بن عيسى : "وفيها حصل وباء عظيم ، وعم جميع البلدان ، وهلك فيه أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، وقع عندنا في بلدان الوشم ، وسدير ، وجميع بلدان نجد ،

في "خامس عشر من صفر" من السنة المذكورة إلى "سابع ربيع الأول" .

"النجم اللامع للنوادر جامع" لمحمد بن علي آل عبيد "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "يقول الشيخ محمد بن علي آل عبيد : "ثم دخلت سنة ١٣٣٧ه وفي أول هذه السنة من شهر "محرم" ابتدأ الوباء بنجد ، فدام ما يقرب من أربعين يوماً ، وحصل فيه موت كثير من : النساء ، والأطفال ، والرجال ، وكانت هذه السنة تسمى سنة (الرحمة)" ..

(خزانة التواريخ النجدية) لعبد الله بن عبد الرحمن البسام "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "يقول إبراهيم بن محمد القاضي : "ابتدأ هذا المرض في عنيزة في "سلخ صفر" وخف في "عشرين ربيع الأول" ،

وارتفع بآخر الشهر ما بقي له أثر" .

العرفج : "تقول الروايات الشفهية التي تناقلها الآباء عن الأجداد : أن أعداد الموتى ؛ فاق "المئات" ووصل إلى "الألوف" ، حتى أنه أباد مدناً بأكملها ، لدرجة أن النعوش تكسرت ؛ من كثرة الموتى ، واستعانوا بأبواب المنازل ، والبِسط في نقل الموتى إلى المقابر .

وكان شغل الناس في ذلك الوقت : حفر القبور ، حتى أن المحسن منهم من يقضي طوال يومه في حفر القبور ؛ لا يشغله عن ذلك إلا وقت الصلاة ، أو لقيمات تعينه على عمله .

"شرح رياض الصالحين" (١٧٨/١) لمحمد بن صالح العثيمين "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين : "وحُدثنا : أنه قدم هذا المسجد – مسجد الجامع الكبير بعنيزة – وكان الناس بالأول في قرية صغيرة ، ليس فيها ناس كثير كما هو

الحال اليوم ، يُقدَّم أحياناً في فرض الصلاة الواحد "سبع" إلى "ثمان" جنائز" .

"تذكرة أولي النهى والعرفان" (٢/٢٥٦) لإبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "يقول الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن : "هلك بسببه في قلب الجزيرة العربية "أُلوف" من الأنفس البشرية ، وكان عظيماً ، وفشا المرض في الناس وقل من يسلم منه .

وذُكر لنا عن شخص أصابه ذلك المرض ؛ فسلم ، قال : وبسببه هجرت مساجد ، وخَلت بيوت من السكان ، وهملت المواشي في البراري ، فلا تجد لها راعياً ولا ساقياً" .

"تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق" (ص ٤١٦) لعبدالله بن محمد البسام "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : يقول عبدالله بن محمد البسام : "وفي هذه السنة :

وقع في بلدان نجد ؛ وباء عظيم ، وعم جميع بلدان نجد ، والعربان ، ومات فيه خلائق لا يحصيهم إلا الله" .

(خزانة التواريخ النجدية) لعبد الله بن عبد الرحمن البسام "سنةُ ١٣٣٧هـ"

العرفج : "يقول إبراهيم بن محمد القاضي في ذكر أعداد الموتى : "بلغت في "عنيزة" قريب "الألف" وفي "بريدة" كذلك قريب "الألف" نفس" .

العرفج : "من مشاهير من مات في هذا الوباء : الأمير تركي بن عبدالعزيز الابن البكر لجلالة المؤسس ، ووكيل بيت مال شقراء الشيخ عبدالله بن محمد السبيعي .

(خزانة التواريخ النجدية) لعبد الله بن عبد الرحمن البسام "سنةُ ١٣٣٧هـ"

يقول الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى : «ومات من أهل شقراءِ نحو ثلاثمائة وعشرين نفساً، منهم عبدالله بن محمد السبيعي وكيل بيت المال من جهة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، ومات من أهل الرياض نحو ألف نفس منهم تركي بن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل، وأخوه فهد» ا.هـ (خزانة التواريخ النجدية) .

جُهودُ حُكومَةِ "المملكةِ العربيةِ السُّعُوديةِ" في مُكافَحَةِ الأمراضِ الوبائيةِ كالجُدريِّ ، والحَصْبَةِ ، والسُّلِّ ، والإنفلونزا ، وإنفلونزا الطيورِ ، والطاعُونِ ، ونَحْوِها

العرفج : كان للمؤسس الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ؛ دوراً بارزاً في مكافحة هذا الوباء ، حيث قام باستدعاء الأطباء ، لمعالجة المصابين ، يقول بول ارميردينغ :

"وصلتْ دعوة الدكتور "بول هاريسون" الثانية لزيارة الرياض ، ومعها إلحاح عاجل ، ففي شتاء عام ١٩١٩م ؛ انتشر وباء الانفلونزا في أنحاء العالم ، وحصد أرواحاً عديدة ، لم يعق سعة امتداد الصحراء العربية الوباء من الوصول إلى الرياض ، فعندما وصل "بول هارسون" إلى العاصمة ؛ كان السلطان حينها قد فقد ابنه البكر "تركي" وزوجته "جوهرة بنت مساعد" ، بسبب الانفلونزا ، وعلى الرغم من هذا ؛ فقد كان "بول هريسون" قادراً على جلب الراحة والمساعدة لعدد من المصابين ، فقد شفي معظمهم" . "أطباء من أجل المملكة" (ص ٤٧) .

العرفج : ورغم انشغال جلالته بالحروب وإخماد الفتن في ذلك الوقت ، إلا أنه كان حريصاً – طيب الله ثراه – على الاهتمام بصحة مواطنيه ، ففي معرض وصف هذا الاهتمام ما ذكره "بول ارميردينغ" عند استقبال جلالته للطبيب "بول" بقوله :

"كان ابن سعود واقفاً في غرفة صغيرة متواضعة ، قابل "بول" بمصافحة حارة....

أحضر الخادم القهوة ، وخلال رشف ابن سعود فنجانه ؛ شرح أنه :

قد طلب قدوم الطبيب ؛ ليس للاعتناء بصحته أو صحة عائلته ، ولكن السبب احتياج شعبه ، وأنه قد خصص منزلاً قريباً ليكون مستشفى ، وكان يريد أن تتم معالجة شعبه دون كلفة مالية عليهم" . "أطباء من أجل المملكة" (ص ٤٥) .

العرفج : ومما يؤكد حرص جلالته – رحمه الله – :

أنه خلال الفترة ما بين عام ١٩١٣–١٩٥٥م ؛ تم استدعاء

العديد من الأطباء من قِبل جلالة الملك عبدالعزيز ، وتم معالجة "آلاف" المرضى ، وإجراء العديد من العمليات ، حتى إنه في عام ١٩٢٣م فقط ؛ تم معالجة : (٦٥٥٢) مريضاً ، وإجراء (١٢٨) عملية جراحية كبرى ، و (٢١٤) عملية جراحية صغرى ، وإعطاء (٨١) حقنة .

العرفج : يقول خير الدين الزركلي :

"العناية بالصحة العامة في "الجزيرة" وفي "الحجاز" على الخصوص من أبرز ما عرف عن الملك عبدالعزيز ، ولم يكن قبل عهده في هذه البلاد أكثر من بضع منشآت ، ويمكن أن يوصف عبدالعزيز بأنه من أشد الناس شعوراً بالواجب في مثل هذا الشأن" .

"شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز" (ص ٤٠١) .

العرفج : في عام ١٣٤٣هـ بدأ الجانب الصحي يأخذ شكل التنظيم الحديث حيث أنشئت "مصلحة الصحة العامة" ومقرها "مكة المكرمة" ، وتبعها فروع في : "جدة ، والمدينة المنورة ،

والرياض ، والأحساء ، ثم منطقة عسير" ، ثم بعد ذلك أنشئت "وزارة الصحة" في عام ١٣٧٠هـ ، وأسندت مهامها للأمير "عبدالله الفيصل" – رحمه الله– ، ومنذ ذلك الوقت ومروراً بعد أبناء المؤسس رحمهم الله جميعاً حتى هذا العهد الزاهر ؛ عهد "خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز" – حفظه الله – ؛ أصبحت المملكة تضاهي كبريات الدول في المجال الطبي ، بل انفردت المملكة في عمليات فصل التوائم السياميين ، وأصبحت مضرباً للمثل في هذا الشأن ، وكل ذلك ؛ بفضل الله أولاً ، ثم بما أولاه ملوك هذه الدولة من عناية واهتمام بالجانب الصحي. انتهى.

تنويهٌ :

انتَهى الاقتباسُ مِن مَقالٍ للأخِ الفاضلِ عبدِالرحمنِ بنِ محمد بن زيد العرفج ، الباحثِ في التاريخِ الحديثِ لـ"شِبْهِ الجزيرةِ العربيةِ والخليجِ العربيِّ" ، وكانَ النقلُ للفصلينِ الأخيرين مِنَ : "الوباءُ في بلادِ نجدٍ.." .

وقَدْ تواصَلْتُ مَعَهُ شخصِيّاً ، واستأذنتُهُ في الاقتباسِ هَذا ؛ فأَذِنَ جَزاهُ اللهُ خيراً وَرَحَّبَ .

ولإرجاعِ الفضلِ لأهلِهِ ؛ ذكرتُ هَذا ، حَتى لا نَقع في قولِهِ ﷺ : (**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ ؛ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**) . متفق عليه.

جُهودُ المملكةِ العربيةِ السُّعُوديةِ - اليومَ عامَ ١٤٤١هـ في مُكافَحَةِ فيروس كرونا "كوفيد ١٩"- في ظِلِّ حُكومَةِ

"مولاي خادِمِ الحَرَمينِ الشريفينِ" الملكِ سَلمانَ بنِ عبدِ العزيزِ آل سعودٍ

ووليِّ عَهْدِهِ الأمينِ الأميرِ مُحمد بنِ سلمانَ بن عبدِ العزيزِ آل سعودٍ يَحفظُهُم اللهُ تَعالى

لقد كانت "المملكةُ العربيةُ السعوديةُ" مِن أوائلِ مَن تصدّى لفيروس كرونا "كوفيد ١٩" الذي انتشرَ في مدينة ووهان الصينيةِ في آواخرِ ٢٠١٩ وبدايةِ ٢٠٢٠م ، بل وَفاقَت ما يُقالُ عَنها بـ"الدُّوَلِ العُظمى" ، مَع إنَّ "السعوديةَ" هي أعظمُ دولةٍ في العالَمِ اليومَ :

فَشَريعتُها : أعظمُ شرائعِ اللهِ تعالى ، وناسخة للشرائع قبلها .

وقِبلتُها : أعظمُ قِبلةٍ للمُسلمينَ .

وتَتَّبعْ : سُنَنَ أعظمِ نبيٍّ ﷺ وعَلى جميعِ الأنبياءِ والمرسَلين .

ودُستورُها : أعظمُ كِتابٍ أُنزِلَ في الأرضِ .

فهي بِحقٍّ ؛ أعظمُ دولةٍ ، و حُكّامُها أعظمُ حُكّامٍ على وَجْهِ البَسيطةِ وإنْ رَغِمَتْ أُنوفٌ .

وليست العظمةُ بالعَتادِ والعددِ والبَهْرَجَةِ ، فَدولةُ الإسلامِ الأُولى بقيادةِ وسِيادةِ النبيِّ محمدٍ ﷺ ؛ كانت ذاتَ عددٍ قليلٍ ، وعَتادٍ لا يُذكَرُ ، فَهَزَمَتْ وَدَكَّتْ إمبراطورياتٍ :

كُفّارَ العربِ قاطِبَةً عِندما تحالفوا ، وإمبراطورياتِ : كِسرى وقَيصر "الرومُ وفارسُ والعَجَمُ عامّةً" .

بَلِ العَظَمَةُ ؛ بالإسلامِ الذي تَقودُ بِهِ العالَمَ بأسرِهِ اليومَ ، فللهِ الحمدُ والمِنّةُ.

أعودُ لِدَوْرِ "حُكومةِ المملكةِ" في مُكافَحَةِ " "كوفيد ١٩" اليومَ ، فقد اتخذتْ قراراتٍ جريئةٍ لم يسبِقْ لأحدٍ اتخاذُ مِثلِها أو أدنى مِنها قبلَها فيما نَعْلَمُ :

۞ أوقفت "العُمرةَ والزيارةَ" مُؤقّتاً عَنِ "المسجدينِ الشريفينِ" لِداخِلِ سُكّانِها والقادِمين مِن خارجِها ؛ كاحترازاتٍ لِضَمانِ سلامةِ الأنفُسِ البشريةِ التي صانَها ربُّ العِزّةِ والجلالِ وأَمَرَ بِحِفْظِها .

۞ أقفَلت منافذَ الدُّخولِ والخُروجِ مِن وإلى "المملكةِ" إلا ما لا بُدّ مِنهُ .

۞ استنفَرت جميعَ القِطاعاتِ الحكوميةِ الخِدْمِيَّةِ وسَخَّرَتْها لخدمةِ المواطنِ والمقيمِ على أرضِها .

۞ علَّقت جميعَ مراحلِ التعليمِ ؛ حِفاظاً على أرواح أبنائِها وبناتِها .

۞ أعطَت إجازةَ أسبوعينِ لموظفِيها مِن العملِ ، وقد تتمدَّدُ ، باستثناءِ مَن يلزَمُهُ خِدمةُ المجتمعِ .

۞ ألغَت الرحلاتِ الجويةَ لِدُوَلٍ عِدَّةٍ وأوقَفت العملَ في المطاراتِ إلا للطوارئِ ؛ كُلُّ ذلكَ مُكافَحَةً لهذا الفيروسِ "كوفيد ١٩" .

❁ كَثَّفَت مِن تصنيعِ لوازِمِ التعقيمِ وما يحتاجُهُ المواطنُ في الوقايةِ مِن الفيروسِ .

❁ منحَت سدادَ القروضِ البنكيةِ المستحَقةِ على الشركاتِ والمؤسساتِ الخاصّةِ في الفترة التي حَدَّدَتها الحكومةُ نحوَ ثلاثةِ أشهرٍ قد تَقِلُّ أو تزيدُ .

❁ أسْكَنَت المصابينَ المعزولينَ عَن ذويهِم في "الحَجْرِ الصحيِّ" في أفخمِ الفنادقِ والوحداتِ السكنيةِ بالمجّانِ وعلى حِسابِ "الدولةِ" العظيمةِ .

❁ أسْكَنَت مُعظمَ رعاياها العالقينَ في الدُّوَلِ خارجِ "المملكة" في أفخمِ المنتَجَعات والفنادقِ بالمجّانِ في تِلكَ البلدانِ ، وتحمَّلت تلكَ الخسائرَ ؛ كي لا يَدخُلوا بالوباءِ للبلادِ ؛ حتى أمرٍ آخر . فللهِ الحمدُ والمِنّةُ على هذهِ الحُكومةِ التي اعتَنَتْ بِرَعِيّتِها في الداخلِ والخارجِ !

۞ مَنَعَت التجمعاتِ في الأسواقِ ، والاستراحاتِ ، وقصورِ الأفراحِ ، وإقامةِ الحفلاتِ ؛ حمايةً للأنفُسِ البشريةِ .

۞ نَشَرت البرامجَ التوعويةَ في جميعِ مواقعِ التواصلِ الاجتماعيِّ : المقروءِ ، والمسموعِ ، والمرئيِّ على مَدارِ الساعةِ .

۞ (شدَّدَت) مُتابعتَها للمُخالِفينَ في مجالِ "التجارةِ" خاصةً، بمُراقبةَ أسعارِ السِّلَعِ وتوفيرِ الموادِّ الغذائيةِ والأساسيةِ للشعبِ ، وعَدَمِ السماحِ لذوي النفوسِ الرديئةِ مِن استغلالِ الأزماتِ في رفعِ الأسعارِ ، أو احتكارِ السِّلَعِ ، أو العملِ على التقليدِ أو الغشِّ التجاري بأنواعِهِ ، ولم يُشغلها هذا الوباء عن مثل ذلك .

۞ أَمَرَت بحَظْرِ التجوالِ مِن غُروبِ الشمسِ إلى طُلوعِها تقريباً مِن يومِ ٢٩ / رجب / ١٤٤١هـ ؛ حمايةً لشعبِها ، ولِمَن يُقيمُ على أرضِها ؛ تحريزاً وأخذاً بالأسبابِ الإلهيةِ .

وَتابَعَت مَن يُخالِفُ ذلكَ ، باتخاذِ العُقوباتِ الصَّارمةِ مِن غَراماتٍ أو سجنٍ ، حَسْبَ ما تقرّر . فَحَفِظَ اللهُ وُلاةَ الأمرِ.

تمَيُّز "حكومة المملكة العربية السعودية" الفريدُ في إدارةِ الأزمةِ

۞ تميزت "الحُكومةُ السعوديةُ" في زمن وباءٍ كرونا "كوفيد ١٩" خاصةً ؛ وذلك بأنَّ مدينةَ الرياضِ العاصمةَ والتي يبلُغ سُكّانُها نحوَ "٨ مليون" نسمة ، ومدينةَ جِدّةَ الميناءَ الرئيسَ للدولةِ والتي يبلُغُ سُكّانُها نحوَ "٤ مليون نسمة" ؛ مِن الثلاثِ المدنِ العالميةِ التي التزمَ سُكّانُها بالحَجرِ الصحيِّ ، فلَم يخرجوا للشوارعِ والمنتزهاتِ والتجمّعاتِ ، وهذا لم يحصلْ في المدنِ العالميةِ في الدول التي تدّعي أنها "كُبرى" . وهذا ما يجعلُنا نقولُ وبكُلِّ فخرٍ : أنَّ "حكومةَ المملكةِ" أعظمُ دولةٍ في العالَمِ اليومَ .

۞ تميزت "الحُكومةُ السعوديةُ" أيضاً بقوةِ الاقتصادِ ولم تتأثرْ في هذه الأزمةِ وغيرِها ؛ كما تأثرَ اقتصادُ معظمِ الدولِ التي يُقالُ إنها "عُظمى" ، ويدلُّ على ما قُلْنا : أنَّ البنوكَ "السعوديةَ" زادت في برامِجِها قيمة القروضِ المستقبليةِ .

۞ تميزت أيضاً بالشفافيةِ والصِدقِ في نشرِ المعلومةِ الصحيحةِ والغيرِ مغلوطةٍ دُونَ التواءٍ ؛ وخاصةً في مسألةِ هذا الوباءِ "كوفيد ١٩" ؛ بِخِلافِ بعضِ الحُكوماتِ .

۞ تميزت "حُكومةُ المملكةِ" بعدمِ التخلّي عَن خِدمةِ ورِعايةِ مُواطنيها في هذه الحالِ التي نحنُ فيها "كوفيد ١٩" سواءً في الداخلِ أو مَن تعلَّقَ في الخارجِ بالرجوعِ للوطنِ . بِخِلافِ بعضِ الحُكوماتِ كما نَرى ونسمعُ عبرَ القنواتِ الإخبارية .

۞ تميزت بتطمينِ شعبِها والمقيمينَ على أرضِها على أنَّ الحالةَ مُسَيطَرٌ عليها وتحتَ المراقَبةِ – وهُم صادقونَ – والمتابَعةِ مِن جميعِ الجِهاتِ الخِدْميةِ المعنيّةِ بذلكَ ، مَعَ بَثِّها التحذيراتِ للمواطنينَ والمقيمينَ وإرسالِ التنبيهاتِ بأخذِ الحَيْطةِ والتزامِ وسائلِ الحمايةِ دُونَ تهويلِ الموقفِ وتضخيمِهِ ، كُلُّ ذلكَ جاءَ في كلمةِ "خادِمِ الحَرمينِ الشريفينِ" الملكِ سلمانَ بنِ عبدِ العزيزِ آل سُعودٍ حفظهُ اللهُ تعالى وَحَماهُ مِن كُلِّ شرٍّ ، وجَعَلَهُ سَنَداً للإسلامِ والمسلمينَ . لا كما تفعلُ بعضُ الحُكومات التي يُقالُ عنها "عُظمى" – زَعَموا- ؛ كَمَنْ

يخطُبُ في شعبِهِ : تجهَّزُوا أو استعِدُّوا لِفقدِ أحبابِكم أو أهليكم . أو عبارةً نحوَها .

أو كَمَنْ يَقولُ : فَقدْنَا السيطرةَ على فيروسِ كرونا "كوفيد ١٩" . أو نحوَ ذلكَ .

أو مَن يَقولُ : ثُلثا الشعبِ سيُصابُ بكرونا ! أو قريبًا مِن هذهِ العبارةِ .

أو مَن يَقولُ : لا تُوجَدُ أَسِرَّةٌ كافيةٌ لآلافِ المصابينَ بكرونا . أو نحوَها .

فإذا كانَ هذا مَنطوقُ رئيسِ دولةٍ ؛ فماذا سيكونُ حالَ نُفوسِ شعبِهِ ؟!

فليسَ عِندي أدنى تردُّدٍ على أنْ أفتخِرَ بحُكومةٍ ؛ كحُكومةِ "المملكةِ العربيةِ السعوديةِ" وأنا واحدٌ مِن مُواطنيها ، ولا شكَّ أنَّ كُلَّ مُواطنٍ شريفٍ ؛ يفتخرُ بحُكّامِنا وعُلمائِنا حفظهمُ اللهُ تعالى .

بَعْضُ البِدَعِ والمُحْدَثاتِ في زَمَنِ الأحداثِ

قالَ ابنُ كثيرٍ : "وَقُرِئَ "الْبُخَارِيُّ" فِي رَبْعَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ "سَابِعَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ" فِي هَذِهِ السَّنَةِ – سَنَةُ ٧٤٩ مِنَ الهِجرةِ – ، وَحَضَرَ الْقُضَاةُ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ .

وَقَرَأَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُقْرِئُونَ ، وَدَعَا النَّاسُ بِرَفْعِ الْوَبَاءِ عَنِ الْبِلَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لِمَا بَلَغَهُمْ مِنْ حُلُولِ هَذَا الْمَرَضِ فِي السَّوَاحِلِ ، وَغَيْرِهَا مِنْ أَرْجَاءِ الْبِلَادِ ؛ يَتَوَهَّمُونَ وَيَخَافُونَ مِنْ وُقُوعِهِ بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ حَمَاهَا اللَّهُ وَسَلَّمَهَا ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُمْ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا بِهَذَا الدَّاءِ .

وَفِي صَبِيحَةِ يَوْمِ "الْأَحَدِ تَاسِعِهِ" ؛ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمِحْرَابِ الصَّحَابَةِ ، وَقَرَءُوا مُتَوَزِّعِينَ ﴿سُورَةَ نُوحٍ﴾ "ثَلَاثَةَ آلَافِ" مَرَّةٍ ، وَثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثَةً وَسِتِّينَ مَرَّةً ، عَنْ رُؤْيَا رَجُلٍ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرْشِدُهُ إِلَى قِرَاءَةِ ذَلِكَ كَذَلِكَ" . البداية (١٨/٥٠٣) هجر .

قالَ ابنُ حَجَرٍ : "في ذي القعدة سنةُ (٨٣٣هـ) : اشتهر أمر الطاعون ، فلما استهل "ربيع الآخر" كان عدة من يموت بالقاهرة "اثنتي عشرة" نفساً ، وفي آخره قاربوا "الخمسين" .

وفي أول يوم من "جمادى الأولى" بلغوا "مائة" ، فنودي في الناس "بصيام ثلاثة" أيام ، وبالتوبة ، وبالخروج إلى الصحراء في اليوم الرابع .

وخرج الشريف كاتب السر والقاضي الشافعي وجمع كثير من بياض الناس وعوامهم ، فضجوا ، وبكوا ، ودعوا ؛ وانصرفوا قبل الظهر ، فكثر فيهم الموت أضعاف ما كان .

وبلغ في اليوم "ثلاثمائة" بالقاهرة خاصة سوى من لا يرد الديوان .

ووجد بالنيل ، والبِرَكِ شيء كثير من : الاسماك ، والتماسيح موتى طافية ، وكذا وجد في البرية : عدة من الظباء ، والذئاب .

"إنباء الغمر بأبناء العمر" (٨/٢٠٠) .

وقالَ ابنُ حَجَرٍ : "ندب القاضي برهان الدين بن الميلق جماعة ؛ لقراءة "البخاري" بالجامع "الأزهر" ، ودعوا الله عقب ختمه برفع الوباء ، ثم اجتمعوا يوم "الجمعة" بالجامع "الحاكمي" ؛ ففعلوا مثل ذلك ، ثم اجتمعوا أكثر من عددهم الأول ؛ فاستغاثوا بالجامع الأزهر" .

"إنباء الغمر بأبناء العمر" (٢/٢٩١) .

قالَ جامِعُهُ :

(خَيْرُ الْهُدَى ؛ هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ ؛ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ؛ ضَلَالَةٌ) .

فقَد وَقَعَ في عهدِ الصحابةِ ﷺ طواعينُ وأوباءٌ ؛ فلم نَجِدْهُم فَعلوا ما فَعَلَهُ هؤلاءِ مِن تَجَمُّعاتٍ وقراءةِ "صحيحِ البخاريِّ" ، ونَصْبِ القُرّاءِ يقرؤونَ ، وتكرارِ قِراءةِ ﴿سُورَةَ نُوحٍ﴾ (٣٣٦٣ مرة) ؛ بناءً على رُؤيا مناميَّةٍ لأحدِهم .

فمَتى كانت الأحلامُ والرُّؤى تُبنى عليها عبادةٌ للهِ تعالى يُتقرَّبُ بها إليهِ ؟!

ولو أنَّهم لجؤوا إلى الصلاةِ ، والقُنوتِ ، والدعاءِ ، والتضرُّعِ إلى الله تعالى والتوبةِ والاستغفارِ ؛ لكانَ هُوَ الصواب ، وأحرى بقبولِ الدعاءِ ؛ لأنَّ ذلكَ هو الدينُ الصحيحُ .

حَالُ المُسلِمِ عِندَ الكَرْبِ والشَّدائِدِ والبَلايا والمِحَنِ والمصائِبِ والنَّكَباتِ

(١) الُّلجُوءُ إلى الصلاةِ

قَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ : " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، (**إذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ ، صَلَّى**)" .

حسن : رواه أحمد (٣٨٨/٥) ، وأبو داود (١٣١٩) ، والمروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٢١٢/٢٣١/١) ، وأبو عوانة في "مستخرجه" (٢٩٨/٤-٣٠٠) ، والبيهقي في "الشعب" (١٥٤/٣) .

حسنه الألباني . انظر : "صحيح الجامع" (٤٧٠٣) .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (**إنَّ : الشَّمْسَ ، وَالْقَمَرَ ؛ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ ، وَلَا لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ ، فَإِذَا كُسِفَا ؛ فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ**) .

صحيح : أصله عند أحمد (١/ ٤٥٩ و ٤/ ٢٤٥ و ٦/ ٧٦، ٣٥٤) ، وفي "الصحيحين" : البخاري (٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠٩، ٣٠٣١) ، ومسلم (٩٠١، ٩١٤) ، وغيرهم ، واللفظ لأبي داود (١١٧٧) . جاء عن جمعٍ من الصحابة ﷺ .

(٢) الاسترجاعُ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ . [البقرة : ١٥٦ - ١٥٧] .

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ :**

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ، **اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي ، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ؛ إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**) .

صحيح : رواه مالك "رواية يحيى" (٤٢/٢٠٤/١) و "رواية أبي مصعب" (٩٨٥/٣٨٩/١) ، وأبو داود الطيالسي (١٣٤٩) – عنده من حديث أبي سلمة– ، وأحمد (٢٧/٤ و ٣٠٩/٦، ٣٢١) ، ومسلم (٩١٨) ، والطبراني في "الكبير" (٦٩٢/٣٠٦/٢٣، ٧٢٣/٣١٨) و في "الدعاء" (١٢٣١) ، وأبو نُعيم في "المستخرج" (٢٠٥٧/٧/٣) ، والبيهقي في "الآداب" (٧٥٣) و "الكبرى" (٦٥/٤) و "الدعوات الكبير" (٦٢٤/٢٧٧/٢) و "الشعب" (١١٨/٧) .

صححه الألباني . انظر: "تخريج الكلم الطيب" (١٤٢) ، و "أحكام الجنائز" (ص ٢٣) ، و "الإرواء" (١٨١٩) ، و "صحيح الجامع" (٧٦٤) ، و "صحيح الترغيب" (٣٤٩٠) .

(٣) الدُّعاءُ عِندَ الكربِ والغَمِّ والهَمِّ

قَالَ تعالَى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . [غافر: ٦٠].

وَقَالَ تعالَى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ . [البقرة: ١٨٦].

وَقَالَ تَعالَى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ . [النمل: ٦٢].

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها ، قَالَتْ : عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ :

(اللَّهُ ، اللَّهُ رَبِّي ، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي ، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) .

صحيح : رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٩٢٠٥/١٩٦/١٠) ، وإسحاق بن راهويه في "المسند" (٢١٣٥) ، وأحمد (٣٦٩/٦) ، وابن ماجه (٣٨٨٢) ، وأبو داود (١٥٢٥) ، والنسائي في "الكبرى" (١٠٤٨٣) ، وابن حبان (٨٦٤) ، والطبراني في "الدعاء" (١٠٢٧، ١٠٢٨) ، و "الأوسط" (٦١١٩/١٧٧/٦) ، و "الكبير" (٣٦٣/١٣٥/٢٤) ، والبيهقي في "الآداب" (٧٦١) و "الدعوات الكبير" (١٨٨/٢٧٢/١) و "الشعب" (١٠٢٢٦/٢٥٧/٧).

صححه الألباني . انظر: "صحيح سنن أبي داود – المحقق" (١٣٦٤) ، و "الصحيحة" (٢٠٧٠، ٢٧٥٥) ، و "صحيح الجامع" (٣٤٨، ٢٦٢٣، ٤٧٢٨) ، و "صحيح الترغيب" (١٨٢٤) .

قالَ الألبانيُّ : "وفي الروايةِ : أنها تُقالُ : سبعَ مراتٍ" .

"صحيح الكلم الطيب" (٢٣) ، و "الصحيحة" (٢٧٥٥) .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ [يَدْعُو] عِنْدَ الْكَرْبِ :

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [الْكَرِيمِ] ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ، وَرَبُّ الْأَرَضِينَ ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ [اصْرِفْ عَنِّي شَرَّ فُلَانٍ]) .

رواه الطيالسي (٢٦٥١) ، وأحمد (١/٢٢٨، ٢٥٨، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٣٩) ، وعبد بن حميد في "مسنده" (٦٥٨) ، والبخاري (٥٩٨٥، ٥٩٨٦، ٦٩٩٤) و "الأدب المفرد" (٧٠٠، ٧٠٢) ، ومسلم (٢٧٣٠) ، والنسائي في "الكبرى" (٧٦٧٤، ٧٦٧٥، ١٠٤٩٠) ، وأبو يعلى في "المسند" (٤/٤١٦/٢٥٤١) ، والطبراني "الكبير" (١٠/٣١٧/١٠٧٧٢) والزيادة الأخيرة له .

صححه الألباني . انظر: "الأدب المفرد" (٧٠٢) ، و "صحيح الجامع" (٤٩٤٠) ، و "صحيح الترغيب" (١٨٢٥) ، و "الصحيحة" (٢٠٤٥) .

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ : **اللهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو ، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**) .

حسنٌ : رواه الطيالسي (٨٦٩) ، وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٠/١٩٦/٩٢٠٤) ، وأحمد (٥/٤٢) ، والبخاري في "الأدب المفرد" (٧٠١) ، وأبو داود (٥٠٩٠) ، والنسائي في "الكبرى" (٦/١٦٧/١٠٤٨٧) و "عمل اليوم والليلة" (٦٥١) ، وابن حبان (٩٧٠) ، والطبراني في "الدعاء" (١٠٣٢) ، والبيهقي في "الدعوات الكبير" (١٨٣) و "الشعب" (١/٤٧٥/٧٥٩) .

حسّنه الألباني . انظر : "الإرواء" (٣/٣٥٧) ، و "التعليقات الحسان" (٩٦٦) ، و "صَحِيح الجَامِع" (٣٣٨٨) ، و "صَحِيح التَّرْغِيبِ" (١٨٢٣) .

نَتائِجُ الصَّبْرِ والاحتِسابِ عَلى الأوبئةِ والبَلايا والنَّكَباتِ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

[البقرة: ١٥٥] .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ : "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ ، فَأَخْبَرَنِي :

(أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ؛ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ) .

رواه أحمد ، والبخاري ، والنسائي في "الكبرى" ، والبغوي في "شرح السنة" . وقد سبق تخريجه .

صححه الألباني . انظر : "المشكاة" (١٥٤٧) ، و "صحيح الجامع" (٣٩٤٩) .

العِلاجُ الناجعُ مِنْ كُلِّ داءٍ فاجعٍ

سأذكُرُ عِلاجاً فَعّالاً ناجِعاً ناجِحاً شافِياً – بإذنِ اللهِ تحقيقاً لا تَعليقاً– ، مَنِ استعملَهُ ، وعَمِلَ بِهِ بصدقٍ وإخلاصٍ وقلبٍ حاضِرٍ ويقينٍ ؛ دُونَ شَكٍّ ولا ارتيابٍ ، مَعَ مُعْتَقَدٍ صحيحٍ سَليمٍ ؛ فَهُوَ مَصُونٌ مِن "كرونا" وغيرِها مِنَ الأدواءِ ، وقد عَجزَ العِلمُ إلى اليومِ عَن إيجادِ دواءٍ لبعضٍ مِنَ الأمراضِ المستعصيةِ كالسرطانِ ، والسُّلِّ ، والربوِ ، والكرونا ، وغيرُها كثيرٌ ؛ ولكِنَّ اللهَ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ سُبحانَهُ ، وهُوَ خالِقُ الداءِ وخالِقُ الدواءِ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ :

(مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً ؛ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً [دَوَاءً]) .

صحيح : رواه البخاري (٥٣٥٤) ، وابن ماجه (٣٤٣٩) ، وابن حبان (٦٠٦٢) ، والبغوي في "شرح السنة" (١٣٨/١٢) وقال : "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ" .

ومِن حديثِ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** ﷺ ، وفيه زيادةُ :

(**عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**) .

صحيح لغيره : رواه الحميدي في "مسنده" (٩٠/٥٠/١) الأعظمي ، وأحمد (٣٧٧/١، ٤١٣، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٥٣) ، وابن ماجه (٣٤٣٨) ، والنسائي في "الكبرى" (٦٨٦٣، ٦٨٦٥) ، والبزار في "البحر الزخار" (١٤٥٠/٢٨٢/٤) ، وأبو يعلى في "المسند" (٥١٨٣/١١٣/٩) ، والطحاوي في "شرح المعاني (٧١٧٦/٣٢٦/٤) ، والشاشي في "مسنده" (٧٥٢/١٨٥/٢) ، والطبراني "الكبير" (١٠٣٣١/٢٠٢/١٠) و "الأوسط" (٧٠٣٦/١٢١/٧) ، والحاكم (١٩٦/٤) وصححه من طريق طارق بن شهاب ، ووافقه الذهبي . و(١٩٦/٤-١٩٧) من طريق ابن السائب ، وسكتا عنه ، والبيهقي في "الكبرى" (٣٤٣/٩) .

ومِن حديثِ **أَبِي سَعِيدٍ** ﷺ : رواه البخاري في "التاريخ الكبير" (٢٦٢٦/٢٣٢/٤) ، والطبراني "الأوسط" (٢٥٣٤/٧٥/٣) ، والحاكم (٤٠١/٤) .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

(مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً إِلَّا أنزل لَهُ دَوَاء ؛ إِلَّا الْهَرم) .

صحيح : رواه أحمد (٤/٣٧٨) ، والطبراني في "الكبير" (١/١٨٤/٤٨٢) ، والحاكم (٤/٤٠١) ، وابن حزم في "حجة الوداع" (ص ٢١٥/١٩١) ، والضياء في "المختارة" (٤/١٧٣-١٧٤/١٣٨٩) وقال : "إِسْنَاده صَحِيح" . وصححه الحاكم .

وجاءَ عَن جابرٍ ﷺ : عند الحاكم (٤/٤٠١) وصححه .

انظرها : "الصحيحة" (٥١٧، ٥١٨، ٤٥٢، ١٦٥٠) ، و "صَحِيح الجَامِع" (١٨٠٩، ٥٥٥٩) ، و "التعليقات الحسان" (٦٠٤٣) .

وإليكُم الطُّرق :

أولاً : المُحافَظَةُ على الوضوءِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ ؛ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاء مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ .

فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ ؛ خرجت من يَدَيْهِ كل خَطِيئَة بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ .

فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ ؛ خَرَجَ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوب) .

صحيح : رَوَاهُ مالك ، وأحمد ، والدارمي ؛ جميعهم دون جملة : "غَسَلَ رِجْلَيْهِ" ، ومُسلم (٢٤٤) واللفظ له ، والترمذي (٢) ، وابن خزيمة في "صحيحه" (١/٥/٤) ، وغيرهم .

صححه الألباني . انظر : "صحيح الجامع" (٤٥٠) ، و "صحيح الترغيب" (١٨١) .

ثانياً : المُحافَظَةُ على الصلواتِ الخَمْسِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا ؛ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟

قَالُوا : لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ .

قَالَ : **فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا)** . متفق عليه .

ثالثاً : الصلاةُ في الجَماعَةِ في المسجِدِ – للرِّجالِ–

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ : ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ :

(مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا : كَانَتْ لَهُ نُورًا ، وَبُرْهَانًا ، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمن لم يحافظ عَلَيْهَا ؛ لم يكن لَهُ نور ، وَلَا برهَان ، وَلَا نجاة ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ : قَارُونَ ، وَفِرْعَوْنَ ، وَهَامَانَ ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ) .

حسن : رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢/١٦٩) ، وعبد بن حميد في "المسند" (٣٥٣) السامرائي ، وَالدَّارِمِيُّ (٢/٣٩٠/٢٧٢١) ، وابن نصر المروزي في "الصلاة" (١/١٣٣/٥٨) ، وأبو بكر الخلال في "السنة" (٤/٧٥/١١٩٦) ، والطحاوي في "شرح المشكل" (٨/٢٠٧/٣١٨٠) ، وابن حبان (١٤٦٧) وفي "المواد" (٢٥٤) ،

والآجري في "الشريعة" (ص ١٢٦-١٢٧) تح. الفقي ، وابن بطة العكبري في "الإبانة الكبرى" (٢/٦٨٣/٨٩٥) ، وَالْبَيْهَقِيُّ في "الشعب" (٣/٤٦) .

صححه أحمد شاكر في "مسند أحمد" (١٠/٨٣/٦٥٧٦) ، والأرنؤوط فيه أيضاً (١١/١٤١/٦٥٧٦) وفي "شرح مشكل الآثار" للطحاوي . وقال المنذري في "الترغيب" : "إسناده جيد" ، وقال الهيثمي في "المجمع" (١/٢٩٢) : "رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْكَبِيرِ" وَ "الْأَوْسَطِ" ، وَرِجَالُ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ" .

وصححه الألباني . انظر : "المشكاة" (٥٧٨) ، و "الثمر المستطاب" (١/٥٢) .

رابعاً : المُحافَظَةُ على صَلاةِ الصُّبْحِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : (**مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ [الصُّبْحِ] ؛ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ [حَتَّى يُمْسِيَ]**) .

صحيح : رَوَاهُ عبد الرزاق في "المصنف" (١٠/٢٦/١٨٢٥٠) ، وأَحْمَدُ (٤/٣١٢) ، ومُسلم (٢٦١) ، والترمذي (٢٢٢) ، وأبو يعلى في "المسند" (٣/٩٥/١٥٢٦) ، والروياني في "المسند" (٢/١٣٩/٩٥٥) ، وأبو عوانة في "صحيحه" (٢/١١) ، وابن حبان (١٧٤٣) ، والطبراني في "الكبير"

(١٦٥٥/١٥٨/٢ و ١٦٦-١٦٥٦/١٥٩ و ١٦٨٣/١٦٦) ، والبيهقي في "الكبرى" (٤٦٤/١) .

وجاء الحديث عن عدةٍ من الصحابةِ منهم : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وأنسٌ ، وأبو هريرة ، وابنُ عمر ، وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ ، وَجُنْدَبُ بْنُ سُفْيَانَ الْعَلَقِيِّ ، وغيرهم .

وصححه الألباني . انظر "الصحيحة" (٢٨٩٠) ، و "صحيح الجامع" (٦٣٣٨، ٦٣٣٩، ٦٣٤٤، ٦٣٤٥) ، و "صحيح الترغيب" (٣٦٧، ٤٢٠، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦١) .

(ذِمَّةُ اللهِ) : الذِّمَّةُ هُنَا : الضَّمَانُ والْأَمَانُ؛ أَيْ : فِي عَهْدِهِ وَأَمَانِهِ تعالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

خامساً : قِراءَةُ (سُورةِ الفاتحةِ)

جاءَ الحديثُ في قراءِتها على الملدوغِ بألفاظٍ مِن حديثٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ :

"فَجَعَلَ **يَقْرَأُ بِـ﴿أُمِّ الْقُرْآنِ﴾** ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ ، وَيَتْفِلُ ؛ فَبَرَأَ .

"**فَرَقَاهُ بِـ﴿فَاتِحَةِ الْكِتَابِ﴾** ؛ فَبَرَأَ الرَّجُلُ" .

"فَقَرَأْتُ عَلَيْه ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾] : سَبْعَ مَرَّاتٍ ؛ فَبَرَأَ" .

"فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ ﴿فَاتِحَةَ الْكِتَابِ﴾ ؛ فَأَفَاقَ ، وَبَرَأَ" .

"فَرَقَيْتُهُ بِـ﴿فَاتِحَةِ الْكِتَابِ﴾ ، فَرَدَّدْتُهَا عَلَيْهِ مِرَاراً ؛ فَعُوفِيَ" .

صحيح : رواه أحمد (٣/٤٤ و ٣/٥٠) ، والبخاري (٢١٥٦، ٤٧٢١، ٥٤٠٤، ٥٤١٧) ، ومسلم (٢٢٠١) ، والترمذي (٢٠٦٣) ، والنسائي في "الكبرى" (٧٥٤٧، ١٠٨٦٧) ، والدارقطني في "السنن" (٣/٦٣/٢٤٣) .

والدارقطني (٣/٦٥/٢٤٧) ، وابن حبان (٥١٤٦) ، والبيهقي في "الكبرى" (٧/٢٤٣) ثلاثتهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

وصححه الألباني.

وصحح رواية : (سَبْعَ مَرَّاتٍ) و (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) ابن حجر في "الفتح" (٤/٤٥٦) .

وقال أيضاً في (٨/١٤١): "وَلِلنَّسَائِيِّ فِي "قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ" عَلَى الْمُصَابِ : "سَبْعَ مَرَّاتٍ" ، وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ" .

سادساً : قِراءَةُ سُورةِ البقرةِ في البَيْتِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(اقْرَؤُوا [تَعلَّمُوا] [عَلَيْكُمْ بِ] سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا : بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا: حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ) .

صحيح : رواه أحمد (٢٥٤/٥، ٢٥٧، ٣٦١) ، ومسلم (٢٥٢) ، والبزار "البحر الزخار" (٤٤٢١/٣٠٢/١٠) ، والبيهقي في "الكبرى" (٣٩٥/٢-٣٩٦) ، و "الشعب" (٣٤٤/٢) .

صححه الألباني . انظر : "صحيح الجامع" (١١٦٥) ، و "صحيح الترغيب" (١٤٦١) .

(البَطَلَةُ): السَّحَرَةُ .

سابعاً : المُحافَظَةُ على الأذكارِ صباحاً ومَساءً ودُعاءُ اللهِ تَعالى

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(مَنْ قَالَ صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءَ كُلِّ لَيْلَةٍ ثَلَاثاً ؛ ثَلَاثاً :

"بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ) .

صحيح : رواه الطيالسي (ص ١٤) ، وأحمد (١/٦٢، ٦٦، ٧٢) ، والبخاري في "الأدب المفرد" (٦٦٠) ، وأبو داود (٥٠٨٨) ، والترمذي (٣٣٨٨) ، وابن ماجه (٣٨٦٩) ، والنسائي في "الكبرى" (١٠١٧٨، ١٠١٧٩) كسروي ، والبزار "البحر الزخار" (٢/١٩/٣٥٧) ، والطحاوي في "المشكل" (٨/٨٤/ ٣٠٧٣، ٣٠٧٤، ٣٠٧٦) ، والخرائطي في "مكارم الأخلاق" (٨٧٠، ٨٧١) ، وابن حبان (٨٥٢، ٨٦٢) وفي "موارد الظمآن" (٢٣٥٢) ، والطبراني في "الدعاء" (٣١٧، ٧٧٦) ، والحاكم (١/٥١٤) ، والضياء في "المختارة" (١/٤٣٤/٣١٠) . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

صححه الألباني . انظر : "التعليقات الحسان" (٨٤٩) ، و "صحيح الجامع" (٥٧٤٥، ٦٤٢٦) .

وبرواياتٍ وألفاظٍ متعدِّدَةٍ صحيحةٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ، فَقَالَ : "أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ" ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ) .

(أَمَا إِنَّكَ ! لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ" ؛ لَمْ تَضُرَّكَ عَقْرَبٌ حَتَّى تُصْبِحَ) .

صحيح : رَوَاهُ مالك "رواية يحيى" (٢/٧٤٥) ورواية أبي مصعب (٢/١٢٨/١٩٩٨) ، وابن الجعد في "مسنده" (١٦٤٥) تح. عبد الهادي ، وأحمد (٢/٢٩٠، ٣٧٥ و ٣/٤٤٨ و ٥/٤٣٠ و ٦/٣٧٧، ٣٧٨، ٤٠٩) ، والدارمي (٢/٣٧٥/٢٦٨٠) ، والبخاري في "خلق أفعال العباد" (ص ٩٦-٩٧) ، ومُسلم (٢٧٠٨) ، وأبو داود (٣٨٩٨، ٣٨٩٩) ، والترمذي (٣٤٣٧، ٣٦٠٤) ، وابن ماجه (٣٥١٨، ٣٥٤٧) ، وابن حبان (١٠٢٠-١٠٢٢، ١٠٣٦، ٢٧٠٠) .

صححه الألباني . انظر : "التعليقات الحسان" (١٠١٦) ، و "الصحيحة" (٨٤٠، ٢٩٩٥) ، و "صحيح الجامع" (٧٤، ٨٠٥، ١٣١٨، ١٣٢٤، ٥٢٤٢، ٦٤٢٦، ٦٤٢٧، ٦٥٦٧) ، و "صحيح الترغيب" (٦٥٢، ١٦٠٢، ٣١٣٠) .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، كَانَ يَقُولُ :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ : الْبَرَصِ ، وَالْجُنُونِ ، وَالْجُذَامِ ، وَ [مِنْ] سَيِّئِ الْأَسْقَامِ) .

صحيح : رَوَاهُ الطيالسي (٢٠٠٩) ، وابن أبي شيبة في "المصنف (٩١٧٨/١٨٨/١٠) ، وأحمد (١٩٢/٣) ، وأبو داود (١٥٥٤) ، والنسائي في "المجتبى (٥٤٩٣) والكبرى (٧٩٢٩) ، وأبو يعلى في "المسند" (٢٨٩٧/٢٧٧/٥) ، وابن حبان (١٠١٧) ، والطبراني في "الدعاء" (١٣٤٢، ١٣٤٣) ، والحاكم (٥٣٠/١) ، وتمام في "الفوائد" (١٣٨٩/١٤٨/٢) ، والبيهقي في الدعوات الكبير" (٤٥٩/١/ ٣٤٨) .

وصححه الألباني . انظر : "الإرواء" (٣٥٧/٣-٣٥٨) ، و "المشكاة" التحقيق الثاني (٢٤٧٠) ، و "صحيح سنن أبي داود – المحقق" (١٣٩٠) .

ثامناً : مِنَ الطِّبِّ النبويِّ

أَكْلُ التمرِ كُلَّ يومٍ سَبْعِ حَبَّاتٍ

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :

(مَنْ تَصَبَّحَ [اصْطَبَحَ] بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً ؛ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ : سُمٌّ ، وَلَا سِحْرٌ) .

رواه أحمد (١٨١/١) ، والبخاري (٥٤٤٣) ، ومسلم (٢٠٤٧) .

تَناوُلُ الحَبَّةِ السوداءِ "حَبَّةِ البَرَكَةِ"

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :

(**إِنَّ فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ [عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ، فَإِنَّ فِيهَا] : شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ؛ إِلَّا السَّامَ**) .

رَوَاهُ أحمد (٢/٢٤١، ٢٦١، ٢٦٨، ٣٨٩، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٦٨، ٤٨٤، ٥٠٤) ، والبخاري (٥٣٦٤) ، ومسلم (٢٢١٥) .

(**السَّامُ**) : الْمَوْتُ . وَ (**الْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ**) : الشُّونِيزُ .

أَكْلُ زيتِ الزيتونِ ، والادِّهانُ بِهِ

برواياتٍ وألفاظٍ مختلفةٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(**كُلُوا الزَّيْتَ [ائْتَدِمُوا بِالزَّيْتِ] ، وَادَّهِنُوا بِهِ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**) .

صحيح : رَوَاهُ عبد الرزاق في "المصنف" (١/٤٢٢/١٩٥٦٨) ، وأحمد (٢/٤٩٧) ، وعبد بن حميد في "مسنده" (١٣) ، والدارمي (٢/١٣٩/٢٠٥٢) ،

و التِّرْمِذِيُّ (١٨٥١، ١٨٥٢) ، وابن ماجه (٣٣١٩) ، والبزار "البحر الزخار" (٢٧٥/٣٩٧/١) ، والنسائي في "الكبرى" (٦٧٠١، ٦٧٠١) ، والطحاوي في "المشكل" (٤٤٥٠/٢٨٤/١١) ، والطبراني في "الكبير" (٥٨٧/٢٦٩/١٩) و "الأوسط" (٩١٩٦/٨٤/٩) ، والحاكم (٣٩٨/٢ و ١٢٢/٤) وصححه ، ووافقه الذهبي .

استِخدامُ القُسْطِ الهِنديِّ

عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :

(**عَلَيْكُمْ بِهَذَا العُودِ الهِنْدِيِّ** - يَعْنِي بِهِ الْكُسْتَ "القُسْطَ"- ، **فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ : يُسْتَعَطُ بِهِ** [يُسْعَطُ] **مِنَ العُذْرَةِ ، وَيُلَدُّ بِهِ مِنْ ذَاتِ الجَنْبِ**) .

رواه أحمد (٣٥٥/٦، ٣٥٦) ، والبخاري (٥٣٦٨، ٥٣٨٣، ٥٣٨٥، ٥٣٨٨) ، ومسلم (٢٢١٤) .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْعَرَبِيِّ المالكي :

الْقُسْطُ نَوْعَانِ : هِنْدِيٌّ ؛ وَهُوَ أَسْوَدُ ، وَبَحْرِيٌّ ؛ وَهُوَ أَبْيَضُ ، وَالْهِنْدِيُّ أَشَدُّهُمَا حَرَارَةً". نقله ابن حجر "الفتح" .

وَقَالَ ابنُ القيِّمُ :

وَالْأَبْيَضُ أَلْيَنُهُمَا ، وَمَنَافِعُهُمَا كَثِيرَةٌ جِدًّا" . "الزاد" و "الطب النبوي" .

قَالَ الْحُمَيْدِيُّ فِي "مسنده" : الْعُودُ الْهِنْدِيُّ : هُوَ الْقُسْطُ .

(**الْعُودُ**): خَشَبٌ يُؤتَى بِهِ مِن بلادِ الهندِ ، طَيِّبُ الرائحةِ ، قابِضٌ ، فيه مرارةٌ يسيرةٌ .

والعُودُ هو : الأُلُوّة ، وقد صحّ أن النبي ﷺ اِسْتَجْمَرَ – مِنَ التّجمُّر ؛ يعني : التّطيّب والتَّبخُّر – بالأَلُوَّة .

تنبيهٌ : "الْقُسْطُ" أو "الْعُودُ الْهِنْدِيُّ" الذي هُوَ للتَّطَبُّبِ غيرُ "الْعُودُ الْهِنْدِيُّ" الذي هُوَ بِمعنى : الأُلُوّة . فالأُلُوّة : للتّطيّبِ والتَّبخُّرِ .

(**العُذْرَةُ**) ؛ بضَمِّ العينِ المهملةِ ، وسُكون الذَّالِ المعجمةِ : وجعٌ أو وَرمُ يهيجُ في الحلقِ مِن الدمِ أيامَ الحرِّ ، وكانوا يغمِزونَ موضِعَهُ بالأصابعِ ؛ ليخرجَ مِنهُ دمٌ أسودٌ - ولعلَّهُ ما يُسَمّى الآنَ بالتهابِ اللوزتينِ -، فأرشَدَهم إلى أنَّ القسطَ ؛ يُغني عنهُ . وقِيلَ : هُوَ الرُّعافُ مِنَ الأنفِ .

(**يُلَدُّ**) : مِنَ اللَّدودِ ؛ لَدَّ الرَّجُلُ : إِذَا صَبَّ الدَّوَاءَ فِي أَحَدِ شِقَّي الْفَمِ .

(**ذَاتُ الجَنْبِ**) : هُوَ وَرمُ الغشاءِ المستبطِنِ للأضلاعِ ، وهُوَ مَرضُ الخاصِرَةِ.

تاسعاً : الحَجْرُ الصحيُّ النبويُّ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ ؛ فَلاَ تَدْخُلُوهَا ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ؛ فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا) .

رواه أحمد ، والبخاري . وغيرهما . وسبق تخريجه أول البحث .

الخاتِمةُ

نُوصِي كُلَّ مَن رأى مُبتلىً أنْ يقتديَ بنبيِّنا مُحمدٍ ﷺ

عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :

(مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلاَءٍ ، فَقَالَ : "**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً**" ؛ **إِلاَّ عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ البَلاَءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ**) .

رواه عبد بن حميد في "المسند" (٣٨) ، والترمذي (٣٤٣١) والحارث في "مسنده" (١٠٥٦/٩٥٦/٢) ، والبزار "البحر الزخار" (١٢٤/٢٣٧/١) ، والطبراني في "الدعاء" (٧٩٧) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٣٠٨) ، وتمام في "الفوائد" (١٤١٠/١٥٦/٢) ، وأبو نُعيم في "الحلية" (٢٦٥/٦) ، والبيهقي في "الدعوات الكبير" (٥٦٧/٢٠١/٢) ، وابن كثير في "مسند الفاروق" (١/ ١٩٣)، صححه الألباني.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(مَا مِنْ رَجُلٍ رَأَى مُبْتَلًى ، فَقَالَ :

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا" ؛ إِلَّا لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ كَائِناً مَا كَانَ) .

حسن : رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ (٣٤٣٢) ، والبزار "البحر الزخار" (١٢/٣٣٩/٦٢١٧ و ١٦/٦٣/٩١٠٦) ، والطبراني في "الدعاء" (٧٩٩-٨٠١) ، و البيهقي في "الشعب" (٤/١٠٧/٤٤٤٤ و ٧/٥٠٧/١١١٤٨) .

وحسنه الألباني .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(مَنْ فَجِئَهُ صَاحِبُ بَلَاءٍ ، فَقَالَ : **"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا" ؛ عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ ، كَائِنًا مَا كَانَ**).

حسن : رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٠/٣٩٥/٩٧٨٥) ،

وابن ماجه (٣٨٩٢) واللفظ له . والحارث في "مسنده" (١٠٥٦/٩٥٦/٢) ، والبزار "البحر الزخار" (١٢/١٨٥/ ٥٨٣٨) ، وابن الأعرابي في "المعجم" (١٠٩٨/٢/٢٣٦٤) ، والطبراني في "الأوسط" (٥/٢٨٣/٥٣٢٤) .

انظرها : "الصحيحة" (٦٠٢، ٢٧٣٧) ، و "صحيح الجامع" (٥٥٥، ٦٢٤٨) ، و "صحيح الترغيب" (٣٣٩٢) .

وَنَخْتِمُ بالصلاةِ والسلامِ عَلى رَسولِ اللّٰهِ

قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه : "يَا رَسُولَ اللَّهِ !

إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ ! فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْهَا ؟ قَالَ : (مَا شِئْتَ).

قَالَ : الرُّبُعُ ؟ قَالَ : (مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ) .

قَالَ : النِّصْفُ ؟ قَالَ : (مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ) .

قَالَ : الثُّلُثَيْنِ ؟ قَالَ : (مَا شِئْتَ ، وَإِنْ زِدْتَ ؛ فَهُوَ خَيْرٌ) .

قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَجْعَلُهَا كُلَّهَا لَكَ ؟

قَالَ : (**إِذًا ؛ تُكْفَى هَمَّكَ ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**)" .

وفي روايةٍ : قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : "يَا رَسُولَ اللهِ ! أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ ؟

قَالَ : (**إِذَنْ ؛ يَكْفِيكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ : مِنْ دُنْيَاكَ ، وَآخِرَتِكَ**)" .

حسن : رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٥١٧/٢ و ١١٨٣٢/٥٠٤/١١) ، وعبد بن حميد في "المسند" (١٧٠) ، وأحمد (١٣٦/٥) ، والترمذي (٢٤٥٧) ، وابن نصر في "مختصر قيام الليل" (ص ٩٥) ، والطبراني في "الكبير" (٣٥٧٤/٣٥/٤) ، والحاكم (٤٢١/٢) ، والبيهقي في "الشعب" (١٨٧/٢، ١٤٩٩/٢١٥، ١٥٧٩) ، والضياء في "المختارة" (١١٨٥) وقال : حسن إسناده . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٦٠/١٠) عن الأول : "رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ" ، وعن الثاني : "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ" .

انظر : "صحيح الترغيب" (١٦٧٠، ١٦٧١) .

قولُهُ : "**أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْك ! فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْهَا ؟**" ؛ قَالَ الْمُنْذِرِيُّ في "الترغيب" : مَعْنَاهُ : أُكْثِرُ الدُّعَاءَ ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ دُعَائِي ؛ صَلَاةً عَلَيْك ؟

وَقولُهُ : (**تُكْفَى هَمَّكَ**) : قَالَ الْأَبْهَرِيُّ : "أَيْ : إِذَا صَرَفْتَ جَمِيعَ زَمَانِ دُعَائِكَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ كُفِيتَ مَا يَهُمُّكَ" .

قالَ الملا قاري عَقِبَ ذلكَ : "وَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى : ذِكْرِ اللَّهِ ، وَتَعْظِيمِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَالِاشْتِغَالِ بِأَدَاءِ حَقِّهِ عَنْ أَدَاءِ مَقَاصِدِ نَفْسِهِ ، وَإِيثَارِهِ بِالدُّعَاءِ عَلَى نَفْسِهِ .

مَا أَعْظَمَهُ مِنْ خِلَالٍ جَلِيلَةِ الْأَخْطَارِ ؛ وَأَعْمَالٍ كَرِيمَةِ الْآثَارِ" .

"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" تحت الحديث (٩٢٩) .

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على نَبِيِّنا مُحمّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ

والذي بِنِعْمَتِهِ سُبْحانَهُ تَتِمُّ الصالحاتُ

كانَ الانتهاءُ مِنْهُ في الثلاثاء ٢٩ / ٧ / ١٤٤١هـ

كَتَبَهُ / **أبو فريحان جمالُ بنُ فريحان الحارثي**

تَنْوِيهٌ لِمَنْ أرادَ مَزِيدَ اِطِّلاعٍ

لقد أُلِّفَتْ كُتُبٌ عِدَّةٌ في أَحْكامِ الطاعُونِ وأَحْداثِهِ ، مِن أشهَرِها وأَجمَعِها باختصارٍ :

(١) كِتابُ "**الطّاعُونُ**" مجلدٌ لطيفٌ . لابنِ قَيِّمِ الجوزيةِ.

ذَكَرَهُ ابنُ عِمادٍ الحنبليُّ في "شذرات الذهب" (٨/٢٩١).

(٢) كِتابُ "**الطّاعُونُ وأحكامُهُ**" لمحمدُ بنِ محمدٍ بنِ مُحمدٍ الصّالحيِّ المنبجيِّ الحنبليِّ (ت ٧٨٥هـ) ، جمَعَهُ في الطاعُونِ الواقعِ سنةَ ٧٦٤ مِنَ الْهِجْرَةِ". "شذرات الذهب" (٨/٤٠٦).

(٣) كِتابُ "**بذلُ الماعونِ في فَضلِ الطّاعُونِ**" لابنِ حَجَرٍ العسقلانيِّ (ت ٨٥٢هـ).